أبي جعل مني عانس

((رواية))

نورة طاع الله

الطبعة الأولى

2025م

دوبامين

عنـوان الكتــاب: أبي جعل مني عانس

اســـم المـؤلف: نورة طاع الله

التصنيف الأدبي: رواية

رقـــم الإيـــداع: 34460 / 2024

الترقيـم الـدولي: 6 – 53 – 8834 – 977 – 978

التدقيــق اللغــوي : اريـج حسـين تصـميم الغـلاف : أسـماء فرغـل

التنســيق الــداخلي : دوبــامين رقـــم الطبعــة : الطبعــة الأولى

المدير العام: خالد محمد سيد

دار دوبامين للنشر والتوزيع – السادس من أكتوبر

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً أو صوتيا وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

أبي جعل مني عانس

رواية

لـ نورة طاع الله

إهداء

إلى تلك التي يلقبونها بعانس، إلى حواء التي ليست عانسًا، إلى من ألزمتني أن أنقل بعض ما قالته في ذلك اليوم الذي لن أنساه.

إليكِ أنتِ دون سواكِ، إليكِ حواء.

كثيرًا ما يأخذنا من بالحياة إلى الاتجاه الآخر، الآخر المعاكس، الاتجاه الذي لم نفكر به، لم نلتفت إليه، لم نفكر بمشاهدته حتى من بعيد، أننا بلا أجنحة متى سلمنا المفتاح الذي به نسير بحرية، سلمنا مفتاح القرار، مفتاح الاختيار، مفتاح الحرية، مفتاح العيش والتواجد كما نرغب.

أننا لسنا بذلك الحال الذي انتظرناه، لسنا بذلك الحال الذي سعينا إليه، أننا بغير حال، أننا بالحال الذي جعل منا تعساء، أننا تعساء، أننا نتنفس ولا نتنفس، فلسنا جميعًا نحيا الحياة التي هي الحياة، أننا كالأموات الذين لازالوا بالحياة، أننا هكذا وأسوأ في بعض الحالات وحتى في معظم الحالات.

استسلمنا للذي لا استسلام فيه، سلمنا أرواحنا، سلمنا العنق ليمسكوننا منه دون نطق، نطق "لاااا" الرفض والامتناع، لا، الاعتراض، أننا لا نعترض فالذي يمنعنا، يسكتنا عن الاعتراض الكثير.

وجدنا بالحياة لنكون سعداء، السعادة الشبيهة بالسعادة التي نسمع عنها وكفاقد قرأنا عنها، سعادة طبق الأصل عن السعادة التي نحن دومًا نسعى إليها ولكن بلا جدوى.

رضينا بالقليل الذي منه فقدنا الكثير والكثير، أننا نحن من رمينا بأنفسنا ببئر القليل، البئر الذي أبقى بنا بالداخل رغم فرص الخروج والنجاة، إلا أننا استسلمنا، أننا قبلنا بهذا الذي نسميه قدر ونصيب، والنصيب والقدر ليس بهذا الشكل ولا بهذا المظهر.

كنت أؤمن دومًا أن بيدنا أن نغير، نغير الذي حتى لا يتغير ولا تغيير فيه، أمنت أن الصعود من الأسفل إلى الأعلى بفعلتنا، أمنت بهذا وبأكبر من ذلك، أمنت وأمنت أن هناك من لم يصل بإيمانه وبلا إيمانه.

انعكست الحسابات لدى الكثير، انعكست لعدم اجادتهم للحساب، الحساب بغير وقت ومكان؛ لتسرعهم، لغرورهم، لوقوعهم في المغريات، والمغريات كثيرة.

أعلم أن الذي يتخبط من الأمس ليكمل ما تبقى، ليكمل اشباع البطن عند الجوع، ودخول الحمام عند الضرورة، والنوم عند الحاجة وبحلول الليل لا ليكمل الحلم الذي بقى عالقًا في زوايا الواقع، والأمنية التي تنزغ دون مراعاة للظروف، دون مراعاة للقدرة التي لا تزال محبوسة، لا تزال باحثة عن عالمها وعن مقدرها والأخذ بقوتها وفعاليتها، وما قد تصنعه من فار.

المراد الذي ينتظرنا عند الباب لننصرف معًا نحو الطريق الواحد وصولًا إلى المراد، الهدف الذي لم يكتمل، لم تكتمل أركانه بعد، الهدف ينتظر منا التهيأ وأخذ القليل من الوقت لوضع الخطة واللازم، اللازم ليقوم الهدف بعملنا واجتهادنا، بالذي عليه أن يكون الحياة بها الكثير، بها ذلك النشاط، النشاط الذي به نقوم بألف عمل في اليوم، به ذلك الأمل الذي يأخذ بنا إلى أبعد الحدود، به ذلك التفاؤل الذي لا يزال يبقينا على قيد الحياة، به الصبر الرجل الصلب، به العمل إلى أن يقول العقل والجسد كفى أريد الراحة، به النهار الذي فيه المفاجئات والمفاجعات.

به الأخبار السارة والمحزنة، به أنا وهم وكل منا في انشغاله، به التغيير والكفاح والمقاومة والتصدي، لا به الأكل عند الاستيقاظ، وبعد الاستيقاظ بساعات، به الاستمتاع بكل شيء نقوم به ونقدم على فعله، به الحب والتحرك بحب. من سرق منا الحياة فقد سرقها بمساعدة منا، سرقها بفتح الباب له نهارًا، سرقها والنور يسكن الأرض والمكان والزوايا، سرقها بوجود الأهل والعباد، سرقها أمام الجميع، سرقها ونحن شركاء في السرقة، فقد سرقها من عمرنا، من حياتنا، من الذي عندنا، سرقنا أنفسنا حتى ضيعناها، ووضعناها بيد الذي لا يرحم، بيد الذي لن يرحم.

نظن كثيرًا أن استسلامنا للقريب طاعة منا له، ومن لعب في بطن استسلامنا قد اتخذ استسلامنا استسلام وضعف منا، فمارس سيطرته وسلطته في ايذاقنا الطعم الأولى للاستسلام، ظنونها هذه هي من أسقطتنا، هي من ضربتنا الضرب المبرح، الضرب الذي لا تزال أثاره لحد الساعة، ظنوننا خلقت منا ذلك الشخص الذي لا حول له ولا قوة، الشخص الجاهل، الشخص التافه الغبي الذي سلم روحه لتفارقه بظن حسن منه جعل منه الضحية والمتهم في أن واحد، على قدر محاولتنا في تغيير ما نحن عليه، ما نحن فيه، نعجز فليس لنا القوة الكافية، القوة التي فينا، القوة التي تسكننا نرى فيها النقص، النقص الذي وضعنا هي والضعف في نفس الكفة والخانة، في نفس الظن والعمل، لنا القوة والقوة الكافية لنا ولمن حولنا، ألا أننا من كثرة التخبط بداخلنا، ومن شدة عجزنا، توقفنا الطويل في التفكير في ايجاد الحل والمنفذ، ظننا أننا بلا قوة.

القوة التي تحتاج منا تغيير، ذلك الظن والتغيير الكثير لتكون قبلنا أن أردنا وكان الموقف يتطلبها هي، لكانت في المقدمة، ولكنا الأبطال وانتظرنا، استضعاف نفسنا، احباطها، وضعها بالقبر وهي فوقه، جعلنا كتلة جروح والروح تريد التواجد بعالمها، فليس هناك من يساعدها، ألم خفيف يهلكنا توجعا، ينقص من اقتنا، يضعف قدرتنا، ألم خفيف قد يجعلنا نمتنع عن الاكل وحتى عن الشرب، يسرق منا النوم، يبقينا في ذلك الليل الطويل نبحث عن مسكن، مسكن للألم وأن كان ضعيف الفعالية ففيه الامل واسكات الألم، ألم خفيف منه نفعل أي شيء، نصدق المجرب والغير مجرب، نؤمن بكلام العالم، نطبق كلام الجاهل، نجرب كل شيء متوفر؛ لأننا أردنا الخروج من ذلك الألم، فصرنا كالذي لم يستطع المقاومة أكثر، وبدأ في الاستسلام، نخاف أن يكون ذلك الألم الخفيف في موضع بسيط، موضع قد يؤدي إلى ما هو أخطر، فنسارع إلى انقاض أنفسنا، هذا هو المرء منقذ لنفسه، لا تهون عليه نفسه، فكيف بالذي رضي وقبل الذي يوجعه كل ثانية وباستمرار، حتى بات هذا الوجع مع التعود مسكن للاحساس بكل شيء، قابل ومحب للوجع والمعاناة مهما كانت درجتها وحجمها ومدة بقائها، لم أتحمل بالفعل، لم أتحمل، أنني أبحث عن الحل، الفكر لا يتوقف عن التفكير، يداي هنا وهناك بين الأدوية تبحث، عيناي لم تعد تقوى على قراءة المزيد من علب العلاج الكثيرة، أنني أتألم بلا توقف، أشتهي أكل القليل من القليل، شرب الكثير من الماء، أتألم جوعًا، أتألم عطشًا.

أتألم جوعًا وعطشًا وألمًا من ضرس قد انكسر ما انكسر فيه، بقيت متمسكة في بنطلون الصبر، الصبر الذي تركني وانسحب عاريًا.

جاء السبت، انتهت الاجازة الأسبوعية، عاد الطبيب إلى عيادته، في الصباح الباكر، كلي استعداد للتوجه للعلاج الفوري، الألم لا يزال مستمر، طبقت وصفات أمي ولأبي، وحتى جارنا الصغير وجارتنا الأمية، طبقت الوصفة الأولى، تليها الثانية، تليها الثالثة، وصلت للكثير من الوصفات، توقف الألم بعض الوقت، عاد في وقت أخر قليلًا وكان خفيفًا، باقي الوقت كدت أنزع فمي نهائيًا، فانني لم أعد أتحمل أكثر، سرت كالذي يحاول اللحاق بشيء وأن لم يلحق به لن يعد موجود.

تهت في العمارة وأدراجها وطوابقها، تهت بسبب ضرسي التي تعاندني، بشدة تعاندني، لم تسمح لي أن أكون في كامل رزانتي وهدوئي.

بدوت كالتافهة، كالمجنونة، كالفاقدة للنطق، لا هي مع الجميع، ولا هي مع نفسها، هي سوى مع الألم يتشاجران، والضرس الغير مكشوف علته قد شتت تركيزي، سبب لي صداع كدت أنزع رأسي بسببه، أنا بالاشارة أتكلم مع هذا وذاك، أسئل عن طبيب الأسنان القريب مني، وجدت الذي فهمني بصعوبة، فهمني لصبره الذي أوقفه لدقائق يفسر حركاتي واشاراتي، أنني لم أستطع فتح فمي تجنبًا لدخول الهواء الذي يزيد من حدة الألم، ويصعب حالتي التي فعلًا لم أعد قادرة على ضبطها ولا على السيطرة عليها، ولا على ايجاد حل لها، بقى بيني وبين وصولي للعيادة دقيقتان.

الجيد أن العيادة في الطابق الأول، لا أدري، تخيلت أن صعودي للطابق الثاني أو الثالث سيتعبني أكثر، وأنا لم أعد قادرة على بذل المزيد من الجهد في المشي والبحث، وصلت، ها أنا عند طبيب الأسنان، هناك من سبقني، دوري ليس الآن في الحين، جلست بقاعة الانتظار الخاصة بالنساء، أنا جد مستائة ومنزعجة، عليا الانتظار لبعض الوقت، معي بقاعة الانتظار سيدة مسكينة، بدت لي مسكينة، هكذا أحسستها، كانت تحدثني بلا توقف، استغربت، حسدتها، كيف لضرسها أو أسنانها لا تألمها، وكأنني أخذت منها المسكن الذي شعرت بعده أنني بامكاني التكلم والتعامل بشكل طبيعي، وسحب يدي التي التصقت بفمي، شجعتني أن أتكلم مع الغرباء قالت الكثير من الكلام الغير مفهوم، معظم أسنانها غائبة وجاءت للتخلص من واحدة باقية غير صالحة، لاحظت أنها متعطشة للحديث، لا يهم مع من تتكلم، الهم تتكلم بدون مقدمات، بالكثير من الألغاز تكلمت، شدني الفضول، تقربت نحوها ومنها لسماعها جيدًا، جلست بالقرب منها جدًا، لمحتها بدقة، طيبة جدًا هي، حزينة ذات الحزن القاسي، تعيش الشقاء، بدأت أفهم ما بداخلها، كانت على استعداد لقول الكثير والكثير، رغبت في معرفة ما قصتها، فهي قد فتحت باب البوح، أنها تريد فك ما يحبس الكبت، معها الوقت الذي هو فرصتها ليسمعها غيرها، لتطلق تلك الطلقات التي أن بقيت أكثر كانت خرقت كل بقعة فيها فقتلت بلا قاتل، هي تعلم أن البوح الآن ومعي وفي هذا المكان الهادئ قد يريحها، وتطرد من خلاله البعض من الخنقات وبقايا ما تركته ورائها وهي قادمة إلى هنا، استمرت في الكلام في هذا الاتجاه وذاك.

أنها لا تحسن اطلاق سراح الجميع معًا، أنها تطلق ما تسنى لها اطلاقه من ذلك القفص، القفص الذي لو لا فيه عصفور جريح هو بحاجة إليها لما عادت، ولكنت أخذتها معي أين ذهبت، أحسست بها الاحساس الذي اوقف ألمي ووجعي، أي ألم، أي وجع، أي ضرس مريض مكسور أو به علة، أي معاناة عانيتها خلال يومي العطلة الأسبوعية، أي صبر أتحدث عنه، ومن بجانبي قد اجتمع كل الالم والوجع واستقرا عندها ومعها الصبر الذي فعلًا صبر ألف امرئ، هي بحاجة إلى النصيحة، فمن منا لا يحتاج إلى تلك النصيحة وإلى تلك العبارة القصيرة الشاملة التي توصلنا وتنجدنا وتنقضنا من هول وهلاك شيء أو أمر كان سيدمرنا ويقضي علينا، فالنصيحة ذلك التوجيه والخلاص الذي يحتاجه كل غافل ناقص خبرة وتجربة في الحياة ليقوى على ما قد يقع فيه ويتجنب السقوط المسبق في كارثة تأخذ منه الكثير والكثير فالنصيحة ذلك الاسعاف الذي يلحق بالضحية والمريض قبل المرض وقبل الوقوع في المصيبة، فهو الدواء الذي يتم شربه للقضاء على الداء قبل وصوله ودخوله الجسد الذي لا يكون بدونه.

الكبير بحاجة ماسة إلى تلك النصيحة الجيدة كالصغير والصغير إلى مجموعة نصائح يتم تزويده بطلب منه وبدونه فالأولياء والمدرسة والمجتمع لا يتوقفون في اعطاء النصائح مع الحث المتواصل على العمل بها ليتم عيش نتائجها والتنعم برزق وفائدة ومنفعة النصيحة التي هي الدوام والبقاء ولا وجود بدونها لدى الجميع.

أن النصيحة ذلك الوعي والادراك، ذلك الاستقرار ذلك التركيز الانتباه ذلك القدرة والتمكن، أن النصيحة أخلاق وتربية، تألق ورقي، إيمان ويقين، جدية وصرامة، أن النصيحة نجاح ونجاح ونجاح واستجابة واستعداد، النصيحة ذلك الكثير المنجب الحاصد للخير الكثير، أن تجد من ينصحك فأنت محظوظ، أن تجد من ينصحك فهناك من يهتم بك ويريد لك الخير ويفكر في سعادتك وراحتك والناصح قد قدم لك النصيحة وأنت رد على نصيحته بتقديم الشكر الفعلي بالعمل بها وتطبيق نصيحته تطبيق مباشر دون تأخير ولا تأجيل. أننا تتهاون في الأخذ بالنصيحة وتقبلها والفرح بها فهي نجاة وخلاص من الذي قد منعت من الوقوع فيه وهذا راجعا إلى النية الصافية ونوايا من قدموا إليك النصيحة.

ليس كل من نصح فهو يريد لك الخير فقد ينصحك عدوك بنصيحة تضرك وما على المتلقي للنصيحة سوى التمييز وفرز النصائح التي مهما تم تزيينها واخفائها وراء العديد من الثياب والأقنعة التي لا تبين الا أنه بمجرد القليل من التركيز وتشغيل العقل يتم التوصل إلى المغزى الحقيقي للنصيحة التي تكون على شكل لغز يحتاج إلى حل ذكي.

أود نصحها لترتاح انصح وأن كنت أعلم أنها لن تأخذ بنصيحتي ورغم ذلك سأقدم لها النصيحة التي بحوزتي، فهذا واجبي ووجب أدائه دون النظر إلى ما سيكون بعد ذلك، يكفي أن تكون نصيحتي لها لا يشوبها العيب والخطأ والحاق الضرر فمتى كانت النصيحة مضرة فهي ليست بالنصيحة التي يطلبها الكثير ويحتاج إليها الجميع.

أن النصيحة الجزء الكبير المانع للغير مراد والمانح للمراد، لن أبخل عليها كما لم أبخل على نفسي بالنصيحة فلي أن أنصحها كنصحي لنفسي بمنعها والسيطرة عليها وحمايتها، لن أبخل عليها فكما أفدت نفسي سأفيدها فالنصيحة واحدة.

تعلمت النصيحة لأعلمها ومررها ولا أدعها تتوقف عندي، سانصحها وستعمل بنصيحتي الحسنة الجيدة فقد اعترضت طريقي وصادفتها في الحال فلها ما تريد مني، أنني بحاجة لسماعها أكثر، حدثيني يا.. كلميني، أكلمك فلم أعد أتألم، لم يعد ضرسي ينزغني حتى، تكلمي، لا تخجلي، أنني لا أعرفك، لن أستغرب سوى سأتفهمك، سأسمعك، لن أتركك بلا ممارسة حقك في الكلام الذي هو أوانه، سارعي، رجاءا، لا تتأخري، استمري في قول ما كان، تحدثي، لن أعاتبك، لن أقاطعك، لن أوقفك، لن أنفر ولن أفر منك، لن أشفق سوى استمري، واصلي، أكملي، تحدثي، خذي حقك، مارسي حريتك، قلت لها هذا والكثير فقد وصلني ما تعيشه، أريد الغوص داخلها، المشي ورائها في أرجاء الباطن العميق، الباطن الذي يحمل الهول والصعب والابتلاءات والعقابات..

"أبي جعل مني عانس"، أبي الذي هو أبي، أبي الذي هو أنا ابنته، أبي الذي هو قائدي، قائد العطاء وجندي الحماية، أبي جعل مني عانس، أنني عانس، فأبي من جعلني عانس، أنني عانس بسببه..

أعلم، أعتذر، أنني قاسية كنت، كيف تجرأت، أقسم أنني لم أقصد شيئًا، اردت تبادل الحديث معًا، اردت الذهاب للشق الإيجابي، سالتها عن أولادها، عن زوجها، دمعت عيناها الجافتان، مسكت تلك الدموع بمنديل ليس بناصع البياض، فقد أخذ منها اللون الممزوج، أبيض ناصع على أبيض قليل وخفيف النصاعة، من حقيبتها الجد قديمة التي تغير لونها واشتكى جلدها الاستعمال، استعانت بمنديلها لتوقف غزارة الدموع التي بدأت، أوقفتها لتحافظ على مظهر الشجاعة والقوة طيلة جلوسها. أنها تتظاهر بالمقاومة والتصدي لحالتها، حالتها التي رغم المحاولات، رغم المقاومات، رغم التصدي ظهرت ما هي عليه، وأنا شاهدت وتأكدت، فتألمت الألم الآخر، الألم الإنساني، فقد وضعت نفسي مكانها، استطعت عيش القليل، سؤالي مزعج كان، جد جارح سؤالي، تألمت، فضلت الرد على السكوت وقول الكذب، تزييف الحقائق، سرد الغير موجود، جوابها "أبي جعل مني عانس"

جوابها هذا قد فتح الأبواب، أبواب الأسئلة والاستفسارات التي ليس لها نهاية، الوقت يداهمنا، تمنيت رحيل الطبيب ولو لساعة، لنبقى، لأسمع الكثير، ليتم شرح هذا العنوان الصعب أبي جعل مني عانس".

بدأت في الوضوح، الوضوح عندها على أبواب النطق والشفاه، أنها تعاني، تعاني، عانت ولا تزال تعاني، علقت عن مظهرها، عن حالها المظهري، قالت عنه وفيه، فقدت شهيتي، انعزلت عن رغبتي في الظهور بكامل زينتي، أهملت نفسي فلمن أظهر وأنا في ذلك البيت، المنزل الذي لا يزوره أحد، نسيت نفسي وحتى الوقوف أمام المرآة، المرآة التي كنت لها عاشقة، موهوسة بها في صغري، سقطت أسناني وبدى عليا الكبر، أنا لا أزال في أواخر الأربعين فقط، فبالله عليك ألا أنني في الخمسين، وحتى في أواخر الخمسين، حياتي المملة أفقدتني ذوقي، رأيي في اللبس، لا أتذكر من متى وأنا أرتدي هذه الثياب عند كل خروج، أنني لا أخرج كثيرًا، فما خارج بيتي ليس بعالمي، أنا بالغريبة، بالجاهلة، بالامية، بالتي لا تفقه شيئًا فيه، ليست هذه ملامحي، ليس هذا هو سني الذي بدى لكي، نعم أنني جاهلة لم اكن طالبة علم، لا بالمدرسة ولا بالجامعة، فأبي جعل مني أمية كذلك سرقوا أنوثتي، محو جمالي، نقلوني من مرحلة الكهول إلى مرحلة الشيخوخة، سقطت أسناني، شاب شعري وتساقط، سوى بالماء أغسله، لم أعد أعتني بمريم منذ فترة طويلة جدًا، لا لنفسي ولا لغيري، فانني لن أتزوج، سأبقى عانس مدى العمر وإلى أن تفارق الروح الجسد.

شعري الأسود الطويل لم يبقى أسود، أنظري إلى عيوني كيف فقدت بريقها ولمعانها، أنظري إلى بشرتي اليابسة كيف هي، كل هذا من فعلة السنين، فقدت، لعب بي الزمن ومن به اللعبة التي اتخذوها هم بجدية وصرامة، فقدت وخسرت الكثيرة في هذه اللعبة، لم أعد، لم أبقى أنتظر وأسهر في محادثة النجوم متأملة.

توقفت عن دعاء أرزقني بزوج صالح، فانني فضلت وقررت البقاء وحيدة، لن يصبح لدي اولاد، رضيت ومر على رضاي ذلك الدهر، لم أعد أتأثر لنظراتهم وتلميحاتهم، طعنت النظرات ومزقت تلك التلميحات لا بثقة مني وانما بهروب واختباء واختفاء، ولأنني لم أعد أهتم، وقد اتخذت القرار البارحة ولست نادمة، لا تألمني أسناني عندما تتهيأ للسقوط، لا أشعر بها، فمرات تسقط مع الطعام اليابس الصلب، أحملها، أدفنها في اناء زرعي، ضرسي هذا عاندني وقد عاندك أعلم، أنه دكتور جيد اطمئني، بقي حديثنا ناقصًا فهي سوى المقدمة، نادتها الممرضة، بعد قليل عادت إلى مكانها، سعد فضولي، عادت بانتظار الحقنة المخذرة في الضرس توقف شعور الضرس بشيء، كان لديها القليل جدًا من الوقت، استعدت لاكمال ما أريد معرفته ومتلهفة لسماعه، فقد أصبحت مريم تهمني، تراجعت عن طرح الأسئلة، تركتها تراقص الكلمات والجمل بطريقتها وكما طلب منها عقلها وقلبها، لم أرد ازعاج رغبتها، بقيت على أمل توقف الوقت في حضرتها، جلست منحنية لانحناء الظروف والحظ معها، لن تفهم المرأة إلا امرأة مثلها، أنها بريئة صادقة وضحية، بقيت أنظر إليها بعمق، بم تغيب ملامحها عني إلى الآن، بقيت راسخة في الذهن، فهذا هو المظلوم يؤثر التأثير القوي العميق الذي لا يغيب وأن انشغلنا عدنا إلى الانشغال ولو قليلا بذلك التأثر الذي ترك أثرًا قد غير الكثير في نفسيتنا، جعل منا أصحاب خبرة من تجارب غيرنا، قالت الذي لن أنساه، قالت: كرهت الرجال من أبي، يكفي ما عشته وما أعيشه مع أبي.

فانني ضعيفه ونحيفة وهشة على تحمل وقبول غيره بنفس الحال والظروف أو بأقلها.

لم يولد بعد الرجل الذي يوفر لك كل الراحة والهدوء والهناء والاستقرار الذي يجعلك تعيش كالملكة، لم يولد ذلك الرجل الذي يحفظ لسانه ويمتنع عن قول المسيء والسيء لك وعنك أن كان وأن لم يك.

لم يولد بعد الرجل المثالي بنسبة درجة واحدة، فقد رحل المثالي الذي هو الرسول – محمد صلى الله عليه وسلم – وهو أخرهم.

أين هو الرجل الذي هو بكل الرجال، رجل بكل رجال العالم؟

تجنبت الرد واعطائها بعض الأمل بأنه موجود فانني لم أجده أنا بعد، تجنبت الرد فالجرح لا يرد عليه إلا بالشفاء، لا بأمل الشفاء وبعض عبارات الأمل والتفاؤل والتمسك بالحياة.

الجريح يريد العلاج الفعلي الذي قد يكون فيه بعض الشفاء، حدثتني القليل في نظري وفي نظرها، قلبها قال العناوين التي بحاجة إلى شرح وتفسير وتحليل.

استسلمت أمام دموعها التي لم تكن ظاهرة إلا قليلًا وخفيفًا، استسلمت أمام الأهات والنهدات والتحصرات، وفقدان الأمل الذي كانت فيه. استسلمت فحالها صعب، استسلمت عند سماع أبي جعل مني عانس. كيف جعل منها عانس، ماذا فعل هذا الأب حتى تسبب في جعل ابنته عانس؟

وهي ذاهبة لغرفة الدكتور ثانية، ابتسمت وقالت: لا تخافي لن تتألمي، أنه دكتور ماهر وفنان في مهنته. تلك الابتسامة كانت ابتسامة لا تهتمي ستتعودين والأفضل أن لا تتعودي على الألم والوجع، ابعدي القلب فانه ضعيف لا يتحمل ولا يستحق.

اهتميت بمريم أكثر، أصريت على اخراج ما بقى عالقًا بين الضرس واللسان، وقفت أمام الباب أنتظرها، طال غيابها بالداخل، عدت إلى مكاني، جاءت لتقول لي ذلك الكلام قبل الرحيل، فانني لن أراها ثانية، من الصعب رأيتها ولو بالصدفة. الثطن بفمها، القطن ذات لونان، أبيض ملطخ بالدم، اكدت على أنها لن تسامح أبيها، فمتى توقفت عن مسامحة الظالم والمجرم والمتعدي والمتجاوز والمتسلط والمستغل عاد الذي امتنعت عن مسامحته إلى وعديه ورشده الذي يجعل منه نادمًا حذرًا معك بالمرة المقبلة.

تسامحك المتكرر والمستمر ودومًا أنت المتضرر، جعل من المذنب والمخطأ معك في جرحك يستمر، لأنك أنت بتسامح قد قدمت له بطاقة، الاذن لفعل الأكبر بالزيادة، فكل مرة يكون الفعل قويا ولا يحمل ورغم هذا يكون التسامح الذي أنت تستسلم له والأخر يبرر ما قام به بطلب السماح منك وهو يعلم أنك تسامح لكثرة تسامحك ومسامحته على الكبيرة والصغيرة دون وضع حد لهذه الأفعال والأعمال التي لم يعد السيطرة عليها سهل؛ لأن التسامح منك قد فتح جميع الأبواب للدخول دون الاستئذان وبغياب الاحترام والكثير من الأمور التي جعلت من المتسامح هو المذنب والخطأ.

وهو من يحاسب ويعاقب ويلام ويتم معاتبته لأنه قد ساهم بالطريقة المباشرة التي هي التسامح في استمرار الذي لا يقبل والذي لا يجب أن يكون، إلا أنه كان باستعمال سلطة التسامح الذي هي تحت تصرفنا ولكن متى سامحنا على كل شيء وفي جميع الأوقات وفي كل مرة فنكون نحن من شجعنا على حدوث الأكثر.

لا تسامح؛ لأنك خجلت منهم وضعفت أمام توسلهم ودموعهم الحقيقية والغير حقيقية، لا تسامحهم وعاقبهم وحاسبهم على الأقل بامتناعك عن مسامحتهم، ورفض قدومهم لطلب السماح، فليس كل من طلب السماح سامحناه. لا تسامح بالصباح وبالمساء وبالليل وكل يوم وباستمرار، لا تسامح فأنت من ستتضرر من هذا التسامح الذي سيعود بالخسارة والضر عليك لا عليهم. لا تسامح واستعمل سلطتك في رفض تسامحهم وكن صارمًا وجديًا غير متساهلًا ومتهاونًا. لا تسامح لكي لا تندم ولكي لا تبكي ندمًا، لا تسامح لكي يتوقف الجميع عن التجاوز للحدود. لا تسامح ليعرف وليدرك المخطأ خطئه فيسعى إلى تصحيحه والاقلاع عنه فتكون سببً في تغيره للأفضل لا العكس، الحياة بلا معنى وليس لها معنى، فانني عانس، أنني بلا حياة، بلا أسرة، بلا استقرار، فأبي جعل مني عانس، وأنا أستوعب وأرتب ما قالته كانت قد غادرت في لمح البصر.

وقفت أردت اللحاق بها، الممرضة دعتني للدخول عند الدكتور، دخلت، أخذت حقنة التخذير، لحقت بمريم إلى الخارج، وأنا أبحث، ألتفت يمينًا ويسارًا، كانت قد اختفت، لم أرى بأي اتجاه سارت، لم أتحصل على رقمها، رحلت تاركة الموضوع مفتوحًا، عدت إلى العيادة، سألتها عن مريم، علمت أنها ستعود غدًا للمعاينة، ارتحت، فأنا هنا غدًا أيضًا؛ لتكملة العلاج وحشو ضرسي الذي سارعت إلى انقاضه وابقائه.

ارتحت وسعدت بتواجدها غدًا في العيادة. عدت إلى البيت ولا أزال مستاءة وحزينة. تأثرت كثيرًا بما رأيته وسمعته من تلك الطيبة مريم. أردت البقاء بمفردي في غرفتي، وابتعدت عن القيام بأي شيء. فضلت الوحدة في هذا اليوم بالذات. لم أتمكن من الاستلقاء على سريري والاستعداد للنوم. لم أستطع النوم ولم أشعر بالنعاس.

جلست لساعات طويلة على الكرسي المتحرك الخشبي المعلق كالأرجوحة في شرفة غرفتي السفلية التي تطل على حديقتنا الصغيرة المتواضعة التي بها الأشجار والأزهار المزروعة.

كل منا له آثار سلبية تبقى وتلازمه وتلاحقه وتعيش معه. تؤثر فينا التأثير القوي الذي هناك من يمنعه من الحياة بشكل طبيعي وهناك من يقويه ويشجعه ويجعله شخصية راقية وواعية.

ما أجمل التأمل بالليل، التأمل الليلي يشعرك بالاطمئنان الحقيقي الذي نبحث عنه ليلًا ونهارًا، ونسعى إلى توفيره. ها أنا أتأمل السماء بعمق وأشعر بالاطمئنان. حظيت براحة نفسية، ومنحني التأمل والليل الإصرار وكل ما قد أحتاجه في الأيام المقبلة لمساعدة الغير.

حواء ليست عانسًا، وقد سعيت كثيرًا لتغيير هذا المصطلح الجارح والحساس، إلا أن الجميع يفضل استعمال هذه الكلمة التي لا تريد سماعها كل من تأخر زواجها.

متى قلنا عانس على حواء، فالرجل الذي تأخر في الزواج هو كذلك عانس، إلا أن لقب عانس مقتصر على المرأة وحواء فقط. حواء ليست عانسًا ولم تكن كذلك يومًا.

كانت ليلة طويلة، تأخر شروق الشمس، بقيت أنتظر طلوع النور وظهوره لأنصرف. كنت ملهوفة للقاء تلك.

كنت من أوائل المقبلين على العيادة، تواجدي المبكر كان لأجلها، للحاق بها، لأخذ ذلك الوقت الذي بحاجة إليه كثيرًا.

جلست طويلًا أنتظر، انتهت الفترة الصباحية، جلست على السلم بانتظار الفترة المسائية.

دخلت وجلست، وبدأت أنتظر بفوضى لا بهدوء، باضطراب وقلق من أنني أنتظر بلا جدوى.

انتظرت ولم تأتِ، بدأت في طرح مليون سؤال، قلقت عليها، أردت الوصول إليها بأي شكل من الأشكال.

الممرضة لا تزال ترفض منحي عنوانها، لم أستسلم، بقيت أستمر في التردد على المكان بلا انقطاع. عندما علمت الممرضة من أنا ومن أكون رحبت بطلبي وطلبت الاعتذار. الآن عنوانها ورقمها الهاتفي بيدي.

فضلت الاتصال كأول شيء. اتصلت، فأجاب أحدهم نافيًا معرفته بها. أعدت الاتصال عدة مرات إلى أن تم وضعي في القائمة السوداء.

جربت البحث عنها في مواقع التواصل الاجتماعي عن طريق اسمها الوحيد، لكنني فشلت في العثور عليها. الأمر صعب جدًا وليس بالسهل كما تخيلته في البداية، إلا أنني بقيت متمسكة بالأمل واللجوء لكل شيء للتواصل معها.

كان لابد من تواصلي معها لأعرف كيف لأب أن يجعل من ابنته، قرة عينه، عانسًا. ما الذي حدث؟ ما الذي جعلها بهذا الثقل من خيبة الأمل والحزن؟

ما الذي حدث لتتعهد وتقسم الابنة بعدم سماحها بوالدها؟ والدها الذي هو لدى كل بنت الجدار السميك الصلب الذي تستند عليه. كان لابد أن أنهي كل تلك الاستفهامات بلقائها ولو لبعض الوقت.

بكل صراحة، أحتاج إلى وقت معتبر وإلى لقاءات متكررة لأفهم الموضوع من جذوره. لقاء واحد غير كافٍ ولن يتم فيه شرح وفهم كل شيء بالتفصيل.

لم أتمكن من نسيان ما قالته ولا نسيان تلك الملامح التي أوجعتني وجعلتني بلا راحة ولا هدوء. دومًا في زاويتي الخاصة أفكر وأبحث عن طريقة لأكون معها. لم يبقى سوى التوجه إلى العنوان الذي حصلت عليه من الممرضة.

اتجهت، وصلت، ناداني أحدهم من الشرفة بالطابق الثاني. كان رجلًا عجوزًا شديد الغضب، سريع السب والشتم.

طرقت الباب بهدوء في البداية، لكن قبضتي في الطرق أزعجت من بالبيت. لم يكن ذنبي فقد ضغطت على زر الجرس عدة مرات بلا استجابة، فلجأت للطرق. انزعج العجوز وطلب مني العفو والسماح ثم شتمني بلسان حاد.

كررت اعتذاري، لكنه لم يستجب ولم يسمعني، فظل يصرخ ويتجنب معرفتي والسبب لقدومي. لم يكن فضوليًا، لم يسأل من أنا أو لماذا أنا على بابه. كان يتهرب من أمر ما.

توقفت عن الطرق، وحاولت التحدث معه، إلا أنه رفض. فهمت أن علي الرحيل الآن والعودة في وقت آخر.

عدت إلى الخلف وأنا بألف خطوة أتقدم إلى الأمام، لم أجد من يخبرني أين هي، لا يريدون مناداتها. ربما نسيتني، لا تتذكرني، وهذا أمر وارد.

أردت فقط الاطمئنان عليها، أردت سماع قلبها ثانية بدقة وتركيز أكثر، أردت الجلوس معها في تلك الحديقة التي بجانب بيتنا، فهي مناسبة جدًا حتى أنها مناسبة للتصرح والبوح بأعلى صوت. لن نكون سوى أنا وهي، وقد أصبحت بداخلها جزءًا منها.

هي قريبة إلى قلبي كثيرًا، فقد تركت بيننا بابًا مفتوحًا لن يغلق، لا يمكنني غلقه والمضي، لأنني لا أستطيع.

أشعر بها، أشعر بحاجتها لي، أنها استسلمت وسلمت كل ما لديها، فقد رضيت بالذي حاربته مرارًا وتكرارًا، إلا أنها استسلمت بعد أن وجدت الحال والوضع على حاله قبل وبعد.

تجنبت فقدان الأمل، وعدت لاستعمال طرق أخرى لا أعلمها بعد.

في المرة المقبلة، أرسلت أحد الأطفال لطرق الباب بقبضته الضعيفة. اعتمد على الجرس كثيرًا، وفي النهاية خرج نفس العجوز من الباب بقميصه الواسع وعمامته والعصا التي بيده. كادت العصا أن تصيب الطفل لولا سرعته في الهروب.

لم يتمكن الطفل من قول الكلام الذي حفظته له. ما العمل؟ ما الذي يحدث؟ لن أتحمل الفشل في كل مرة. أين هي؟ هل ظهورها صعب إلى هذا الحد؟

في اليوم التالي، تشجعت ووقفت أمام بيت العجوز الذي بصق في وجهي دون أي سبب. لم أصدر أي تصرف غير لائق. هل هذا لأنني فكرت في القدوم والوقوف أمام بابه؟ هذا أمر محير وغريب جدًا وزاد من فضولي وإصراري على معرفة ما يحدث.

فكرت للحظة وظننت أن العنوان الذي أعطته لي الممرضة خاطئ، إما عن قصد منها أو أن التي أبحث عنها دونت عنوان غير صحيح. ربما عن جهل أو عن قصد أو خوف أو لأي سبب آخر.

زرت العيادة للمرة العشرين، تحدثت مع الممرضة، وأكدت لي أن هذا هو العنوان الذي تم تقديمه من قبل المعنية. حتى أنني رأيت دفتر المرضى.

إذن، أين اللغز، أين السر؟ هل هذا العجوز الصعب القاسي والد التي جعل منها عانس أم أحدًا آخر صاحب العنوان الثاني غير الصحيح؟

كل مرة كان الأمر الذي يحدث يؤكد ظنوني ويدفعني نحو الاستمرار في البحث، مع أنني مرة أو مرتين فقط فكرت، سوى تفكير في الانسحاب، كان عليّ أن أستمر في المحاولة وعدم التوقف.

ذهبت إلى المحل القريب بالقرب من المنزل، طرحت عليه الكثير من الأسئلة، استغرب وقلق. اكتشفت أنني قد بينت وكشفت جميع أوراقي، بدأت في مرافقة الهدوء شيئًا فشيئًا، واستطعت أن أتوصل إلى بعض النقاط التي أبقتني في عمق بئر المستور أبحث وأطرق الأبواب، ولا أدري أيها الأصح.

لست أدري هل أنا أسير في السير السليم الصحيح الذي بيني وبين اهتمامي الشيء البسيط.

عرفت أن هذا العجوز له بنتان، بنت من ذوي متلازمة داون، وبنت أخرى معها لكن لا أدري أكثر من ذلك.

لم يستطع وصفهما الوصف الواضح الذي قد يقرب الصورة مع صورة مريم. أصبت بخيبة أمل فلا أحد يعرف اسمها، وليست لدي صورة عنها، وإن كانت فلا أحد سيعرف عنها، فملامحها تتغير مما تعانيه وتعيشه، ولأنها من المنزل لا تخرج سوى قليلًا ونادرًا فلا أحد سيتعرف عليها.

توقفت عن البحث في هذا الاتجاه خاصة، بعد أن عينت أحدًا يراقب المنزل، وبمجرد رؤية امرأة يتم التقاط صورة لها.

استمرت المراقبة أزيد من شهر، لم تخرج، لم تدخل التي أريدها، غيرت مساري، فقد أديت المطلوب في هذا الاتجاه كما يلزم.

لم يتم التوصل لشيء يثبت ويؤكد ويريح ويطمئن.

لم أغب عن العيادة، بقيت أتردد بين الفينة والأخرى، يوم أو يومان أغيب، واليوم الموالي أكون عند الممرضة في العيادة واقفة أسأل إن كانت مريم قد جاءت خلال أيام غيابي.

خطرت على بالي تلك الفكرة الرائعة، طبقتها، استعملتها. وزعت مجموعة كبيرة من الأوراق بها جملة، "أبي جعل مني عانس" وتحت هذا العنوان رقم هاتفي. لم أوضح، لم أكتب، لم أدون على هذا المنشور غير هذين الشيئين.

لصقتها على الجدران بالقرب منها، بالقرب مني، بالقرب من بيوت كثيرة.

المنشور وهذه الأوراق اكتسحت مدينتي، نشرتها على مواقع التواصل الاجتماعي، كنت متأكدة أن هذه الفكرة، هذه الخطوة ستجدي نفعًا. تلقيت الكثير من المكالمات من أناس مهتمين وأناس غير مهتمين.

كل يوم أمر، أسير على تلك الجدران، ألاحظ ما صممته، أرى فكرتي، أشاهد مدى مفعولها وفعاليتها. بعضها تم تمزيقها من طرف الأطفال وغيرهم، لا أدري.

لن يفهم عبارة "أبي جعل مني عانس" إلا مريم.

اندُهشت، صدمت، تفاجأت بالكثير من النساء اللواتي أباؤهن جعلهن عوانس وعانسات بسبب الأب.

لم أصدق أن هناك حالات كثيرة، هناك آباء حطموا حياة بناتهن، وهذا فقط في مدينتي الصغيرة، وبهذا العدد.

رحبت بجميع الاتصالات، سمعتهم وحتى التقيت بهم، فكانت الصدمة.

هنّ بنفس الملامح البريئة المظلومة، الملامح التي لم يبق فيها ذلك البريق والنور، هنّ بحاجة للكثير، أدنى ما تحتاجه المرأة والذي عند المرأة اليوم هنّ محرومات منه معنويًا وماديًا.

أرغب بشدة في رسم وتلوين ابتسامة جميلة لا تغيب ولا تختفي على وجوه الجميلات، أرغب في مداعبة أرواحهن لتحيا من جديد.

أرغب في الاجتماع جميعًا في عالمنا الذي نريد، وطالما أردنا وبحثنا عنه وعشنا جميع التفاصيل في ليلنا المظلم، المظلم فوق الظلام الطبيعي واللون الحقيقي لليل.

نرتدي سوى الأبيض الذي حرمنا منه ومن ارتدائه، نرتديه اليوم وغدًا وإلى أن تعلن الروح انفصالها عن الجسد، ونكون قد رحلنا به هو.

سمعت ما كنت أهرب دومًا من سماعه لأنني أتألم وكثيرًا أتألم.

أنا حقًا لا أتحمل، ليس لدي طاقة لذلك الثقل، إلا أنهنّ ليس لديهن أحدًا سوى حواء مثلهن تشعر بهن ويتقاسمن معًا ما كان والموجود.

أقضي الليالي في حجرتي المنيرة قليلًا، فإنني لا أطيق ولا أميل للنور الطالع كالشعاع الذي يتقبله الجميع سوى أنا، فقد اعتادت مشاعري وأحاسيسي على النهوض مع قدوم الكسوة السوداء عند اختفاء الجميع.

هن مثلي كنّ يفضلن التواصل معي هاتفيًا بالليل، فهذا توقيتنا وبداية يومنا وحكايتنا الثانية التي نخفيها عن الجميع، نخفيها لكي لا يمزقوا حلتها ويكسروا أعمدتها.

مرات أتوه وأنا أتوجع، لا أسمع، أذهب إلى صفحات الماضي المحرقة حواشيها وأسوارها الأربعة، أتهرب لكي لا يصلن عند النقطة التي سوى معي سيرفعن عنها الستار.

تحدثت مع الأولى، أبوها جعل منها عانسًا، دخلت سجن الزوجية وهي تحمل دميتها، ألبست دميتها الأبيض على أنها هي العروس، قامت بما قاله لها عقلها الطفولي البريء.

يوم زفافها خلعت الفستان الأبيض الذي لم تحب شكله وهي ترتديه، حملت ألعابها، اتجهت نحو أصدقائها في الشارع، وبدأت في ممارسة طقوس الأطفال في اللعب، والجميع يبحث عنها.

كان موكب العريس قد وصل، وهي بالخارج بكامل طفولتها وبراءتها تلعب بلا دراية بما يحدث وسيحدث.

العريس أصيب بالعار وتلطخ بالفضيحة، ومن هنا بدأت المعاناة، بدأت الأشياء الأخرى التي حولتها إلى مخلوق بلا حياة.

الأب فضل معاقبتها ليغسل ما يسميه عارًا وفضيحة، وتم فعل ما لا يُتصور معها.

من عمر الثالثة عشر إلى عمر التاسعة والثلاثين وهي على نفس اليوم تستيقظ، سوى العمر يكبر والأيام تمر في الفراغ دون تحقيق الاحلام، وتجسيد الامنيات.

نعم، السجن في بيتهم، الأب هو من حكم عليها بهذا السجن القاتل، الذي فعلًا دمر نفسيتها وجعل منها إنسانة معدومة، إنسانة سوى تتلقى الأوامر وتخدم هذا، وتلبي طلبات ذاك من إخوة وزوجاتهم وأب لا يرحم، وأم لا حول لها ولا قوة، أمي رفيقتي في هذا السجن الذي أود الهروب منه، أنني لن أبقى فيه وأنا بريئة، لا ذنب لي.

لا ذنب لي أتحمل أخطاء غيري، أعاقب على الذي لم أقترفه.

لحد الساعة لا زالت حقيبتي المدرسية في خزانتي الهشة المتطرفة التي بلا أبواب، هي خزانة جدتي التي توفيت منذ عديد السنوات.

في تلك الليلة واليوم المشؤوم تم اتخاذ العديد من الأحكام والقرارات القاسية، دون الرجوع إلي وتم دفن رغبتي وما أحب بين الساعة والأخرى.

في اليوم الموالي وجدت نفسي في تلك الغرفة الصغيرة التي نافذتها جد صغيرة، مربع لا قياس له، أنا وأغراضي وألعابي ولوازم الدراسة بجانبي مبعثرين مثلي، يحتاجون إلى من يجمعهم ثانية بعناية.

اعتنيت بهم طيلة هذه السنوات، بكيت وبكيت إلى أن تركني البكاء ورحل هاربًا مني، بكيت كثيرًا إلى أن تركت وملت عيناي البكاء للأبد.

لا أحد يريد أن يشرح لي ما الذي أنا فيه، الجميع يشتمونني، يضربونني بمجرد رؤيتي.

ضربني أبي الضرب الذي توقفت بسببه عن مناداته بأبي، الضرب الذي جعلني أعتبره ليس أبي، منعني من الذهاب إلى مدرستي، فكرهته الكره الذي أوصلني إلى التفكير بالانتقام، إلا أنني دومًا أتراجع، فلا أريد أن أكون مذنبة ومجرمة يومًا.

الأيام كانت ثقيلة وطويلة، وكأن الساعة عقاربها مكسورة، أو أن الزمن بالفعل توقف.

أجهل الكثير، لا أعرف إن كان اليوم الخميس أو الثلاثاء، فالأيام جميعها واحدة ذات اللون والشكل والمذاق الواحد.

طوال الوقت أقرأ كتبي وأكرر لا غير، على عتبة باب المطبخ، وأنا تفكيري في مدرستي التصق ولا أغادر.

خادمة عند الغرباء، فهم بالأمس واليوم غرباء لم أستطع أن أحبهم أو أغفر لهم.

إنهم يحترقون بذنوبهم، واحترقت أنا معهم بإيذائهم لي نفس المرارة والملوحية التي تذهب شهيتي لفترة طويلة.

قبلت وضعي وهذه الحياة فقد تعودت، والمعاناة تتكرر كل لحظة بلا انقطاع، بالفعل إنني لا أشعر، أجهل متى أضحك، متى أبكي، أين أفرح وأين أحزن.

أملي في أن أرحل من هذا العالم، وهذا المنزل إلى بيتي الخاص الجديد جعلني أتحمل، زاد من قوتي. إنني فقط أنتظر بلا ملل ذلك اليوم، ذلك اليوم طال، تأخر كثيرًا.

علمت بالصدفة أن عقاب أبي ليس حبسي ومنعي من التعليم، ومعاملتي كالغريبة، جعل مني أمية، جعل مني جاهلة، جعل مني عانسًا.

أبي يرفض كل من يتقدم لخطبتي، يطرد كل من يريد الزواج بي. أنا بالداخل بحسن النية والأمل والتفاؤل أنتظر وأتحمل، وأبي بالخارج يقتل فرحتي المنتظرة، يقضي على أملي الذي بالفعل قضى عليه.

ماذا أفعل؟ نعم، صرخت، بكيت، حاولت الانتحار لكن الروح كانت تعاندني، والحياة البشعة تريدني وتسحبني نحوها دائمًا.

مللت وعدت إلى القناعة والرضا بالموجود غير الموجود.

سنة وراء سنة، مرت سنوات، مرآتي المكسورة على الجانب الأيمن، وبعض الشيء بالوسط تخبرني عن طريق الخطوط الرفيعة جدًا، رفيعة قد لا تظهر إلا أنني كنت أراها، وأدقق في الرؤية، وبأصابع يدي الجافة أحاول إخفاءها.

لم تبقَ رموشي كما كانت، فقد تساقط منها الكثير من الشعيرات الكثيفة.

لا أهتم لكل هذا، لم أرى النور منذ الدخول الأول، الدخول الذي لا بعده خروج. السجين يحق له أن يخرج إلى الساحة يمشي، يستنشق الهواء الصافي مباشرة، ينظر إلى السماء، يزوره من يحبونه، يشاهد التلفاز، يضحك، يمرح بعض الشيء، وفي أوقات المزاج المضبوط.

إنني أشتهي معانقة نفسي الضائعة، معانقة السماء ومعها الهواء، تلبية طلب البصر في رؤية النور، فإنني أعمى وقد لا أرى النور ولا أبصره، فقد صاحب عيناي الظلام طويلًا.

لم يتغير شيء في أسماء، فأنا هي أنا، شعري قد حل به البياض، ماتت أمي، أبي في فراش المرض يعاني.

إن كان هناك أمل للخروج من هذا العالم الذي هو ليس عالمي ولم يكن عالمي يومًا، وإنما تم وضعي فيه دون رضاي وأنا طفلة لا أعي الكثير.

إن كان هناك أمل للخروج، أخاف حتى من البشر والناس، لا أعرف كيف هي الحياة اليوم، ماذا سأفعل بالخارج، هل سأكون المشردة التي لا أهل لها ولا مكان لها؟

قد يكون العمر باقي منه الكثير، وياليت العمر ينقضي بسرعة البرق والتطور.

أتركِ الآن تستوعبين البعثرة التي قلتها دفعة واحدة دون تفضيل.

الرجل المريض نائم وهاتفه بيدي خلسة، أخاف من نظراته وصرخاته، لا أقوى على سماع تلك الكلمات. فهو ينادني بكل العبارات القبيحة ويقول لي عانس، وهو من جعل مني عانسًا. فعجبًا لبشر يفعلون القبيح ويسيرون مفتخرون ناسين ما تركوه خلفهم جراء فعلتهم وأفعالهم الشنيعة.

أسماء المتصلة التي فسرت لي ما معنى "أبي جعل مني عانس"، فهمت تلك الآلام والمعاناة، فهمت حجم الجروح والآهات الخفية.

وصلني الكثير، سمعت ما بباطن الأحرف والكلمات، وما وراء اللسان، وما بعمق القلب، وعلى أبواب المشاعر والأحاسيس.

قد نكون نحن سبب في مأساتنا ومعاناتنا، وقد تكون ضمن القدر، وقد يكون الغير ومن حولنا قد ألحقنا بها دون رضا منا أكيد.

فالمأساة منا ومن القدر ومنهم والثلاثة متقنون في إسقاطنا السقطة التي لولا الإيمان بالله وبالنفس والثقة بالله وبالنفس لن نعود ولن نستيقظ من جديد.

هل سأتمكن من سماع غيرها والهاتف من الرنين يتنقل من مكان إلى مكان كالرضيع حديث المشي والتحرك؟

هن بحاجة إلي، أسماء ومريم وغيرهن تحت سقف الصعب لا يتنفسون، والأنين بالصمت والصامت يصدر كَبته الفائض الممتلئ.

أسماء نَزغتني النَزغة التي أحدثت وجعًا وأثرًا، وأنتجت ثقل مسؤولية على عاتقي، والمسؤول مهموم.

عندما كنا صغارًا، كنا نتمنى وبشدة أن نصبح كبارًا، كالأب والأم والأخ الأكبر، كالجد والجدة والعم والخال، كجارنا الذي أحيانًا وهو عائد إلى البيت من العمل يجدنا نلعب في كرة القدم فيسحب منا الكرة ويضربها عدة مرات فيفوز بعدة أهداف، فنقول يا ليتنا كنا كبارًا ونقوم بهذه الحركة مع الصغار.

فكل هؤلاء يحببوننا في أن نكون كبارًا، ونحن لا ندري بأن أجمل الفئات العمرية هي الطفولة التي تحتوي على كل المرح والضحك والسعادة واللعب والحياة الجميلة، بها كل الراحة والهدوء والبراءة والنقاء الذي نبحث عنه اليوم ونحن كبار ولا نجده إلا عند الصغار الذين كنا نحن يومًا.

يا ليت يعود بنا الزمن للوراء ونعود إلى بطون أمهاتنا لنُولَد من جديد، ونعيش الطفولة ثانية لما بها من جمال والحياة الرائعة.

قد لا نصادف من يثبت لنا الحب ذو الوجه الحسن بالأدلة والبراهين والمعاش، وهذا ما جعلنا نرى أن الحب ذو وجه واحد عند الجميع.

إسراء صاحبة الخمسة والأربعين عامًا، تصرخ بأعلى صوت "أبي جعل مني عانسًا،"

كان هذا أول ما قالته عند بداية المكالمة بيننا، فطلبت منها الهدوء والعودة إلى رُكازتها، لأتمكن ويتمكن عقلي وقلبي من سماعها جيدًا، والمحاولة لايجاد المخرج الذي نبحث عنه جميعًا.

لقد استعادت الهدوء وبدأت الحديث، فقد أرادت الاختصار لخوفها أن يسمع أحد المحادثة، إذ هي عاجزة أمام من تعيش وتقيم معهم.

أبي يحبني الحب المختلف، الحب النادر الذي أنا متأكدة لا وجود له، وإن سمعت وشاهدت وتأكدت فلن أصدق.

أنا عند أبي كل شيء جميل، عنده الحياة ومعنى الحياة، أنا بسمة أبي وسعادته، أنا دقات قلبه ونبضاته، أنا الروح الساكنة بجسده، أنا سبب العيش والبقاء، أنا الهناء والراحة، أنا التي لا يمكن بدونها.

أنا عند أبي الدفء عند البرد، النسمة والهواء الخفيف البارد نوعًا ما عند الحر الشديد.

أنا الألوان ومزهرية الورود، أنا نغمة الصباح وحكاية ما قبل النوم، أنا عروس البيت، أنا الأميرة، أنا المدللة، أنا كل ما تحتاجه البيت وتريده من أبيها وأكثر، وأنا لا أبالغ فأنا لا أستطيع حصر ما أنا بالنسبة لأبي. إسراء هي العيد وبهجته، هي الشفاء والعلاج، هي الطلب والحاجة، هي التي إن غابت غاب نصف الحياة.

درست ونجحت، أصبحت مصممة أزياء لأنها هوايتي، قدم لي أبي كل ما أحتاج، وفر لي كل ما يعينني على الوصول للقمة ووصلت وكنت أنا كما أريد وكما حلمت ورغبت.

ما زلت أشعر بالنقص، أبي يحاول جاهدًا لجعلي لا أحتاج لشيء وليبعد عني شعور النقص الذي أتظاهر أمامه بعدم وجوده وهو محفور بداخلي.

وجدت الرجل المناسب، أحببته، أحبني، أردنا أن نتوج هذا الحب بالزواج، تقدم لخطبتي، كانت الصدمة التي لم أتوقعها من أبي يومًا.

عندما سمع أبي كلمة زواج منه نهض غاضبًا، وقام بضربه بلا سبب لكن أبي لديه السبب القوي والمقنع بالنسبة له.

حاولت إيقاف أبي، فضربني عندما دخلت لأنهي هذه المهزلة، لا أدري، لا أستوعب ما الذي يحدث، هذا ليس أبي، كيف أصبحت لست بابنة أبي المدللة في لحظة؟

حبيبي خرج من بيتنا ووجهه منتفخ، فقد تلقى ضربًا مبرحًا من أبي، شعرت بالعار أن هذا أبي، كنت دوما أفتخر به وأراه المثل الأعلى، القدوة التي ليس مثلها مثيل.

أبي رفض تزويجي من شدة حبه لي، فإنه لا يقوى على فراقي وبعدي عن ناظره.

اقترحت أن أعيش معه أنا وزوجي بعد الزواج إلا أنه رفض، مع أن حبيبي رغم الإهانة والذل الذي مورس عليه بقلبي بيتنا وهو ضيفه قد غفر لأبي، ووقف معي في إقناعه من بعيد.

يئست من كثرة المحاولات الفاشلة، طلبت منه الرحيل فرحل وتزوج وهو الآن سعيد بحياته وعنده أولاده، فهل هذا هو الحب من أبي ومن حبيبي السابق؟

تقدم لخطبتي الكثير إلا أن اشتهر أبي بالأب الذي لا يزوج ابنته لحبه لها، وهذه الشهرة جعلت لا أحد يمر حتى من الشارع الذي أقطن فيه.

بقيت أنا بحصرتي وحزني، محتاجة أن أكون أمًا، كثيرًا ما أتخيل أنني حامل وولدت وحملت ابني وهو في أحضاني يلعب ويكبر.

لا أتوقف عن تخيل الزوج الذي يسارع إلى مسح دمعتي والأخذ بيدي، في الحلم والتخيل لم أفقد الأمل، وأنا أعيش الواقع والحقيقة بعالم الحلم والخيال، فهذا ما أملك سوى عيش ما أتمنى بليلي المظلم المريح، رفيقي في وحدتي وونيسي.

أبي سعيد بكوني عانسًا، أبي ليس أبي فهو صديقي، عرض علي أن أتبنى ولدًا، رفضت فهل للعانس أن يكون لها ولدينات، فقدت الأمل في الزواج، لم أفقد الرغبة في الزواج.

إلى الآن أتمنى أن يأتي ذلك اليوم قريبًا مع أنني أعلم أنه لن يأتي فأبي بصحة جيدة ويمارس حياته بشكل كامل.

أطلب الغفران والمغفرة من الله، فإنني مرات أطلب الموت لأبي لأتمكن من الحصول على حقي في الزواج.

لم أعد ناجحة كما في السابق، فنجاحي به نقص وأنا بي نقص، أشتهي ذلك البيت الصغير والحياة المرضية السعيدة المليئة بالحب وحناني.

أنا وحيدة أبي، ويا ليتني لم أكن وحيدته التي جعلتني بهذا الحال، وأحبني كل هذا الحب، الحب الذي فعلًا لا معنى له.

صممت فستان زفافي من أروع التصميمات، وأغلى اللوازم، علقته منذ سنوات، أراه عند الاستيقاظ وفي النهار وقبل النوم، ورؤيتي له تذبحني.

أريد أن أقابلك ونتقاسم الكثير معًا، الآن أنا ذاهبة عند أبي الذي لن ينام دون رؤيتي وسماع صوتي، ذاهبة لإهدائه السعادة والطمأنينة التي تجعله ينام نومًا هنيئًا مريحًا هادئًا بلا كوابيس ولا فوضى، لنا لقاء يا مفجرة كبتي.

المكالمة الثانية خففت عني قليلًا لا أدري لماذا، فقط أنني ارتحت كثيرًا لإسراء المحبة للحياة، في صوتها الحزين هناك حياة لم تنفتح أبوابها بعد لتنطلق وتحلق جوًا وبرًا وبحرًا.

خاصمت النوم، تركته جانبًا بعيدًا عني، ذهبت لإعداد كوب من القهوة لأرافق السهر.

بعد القليل من الوقت جاء الاتصال الثالث الذي استعديت له كل الاستعداد، وبالفعل كان جدًا حساسًا ومهمًا.

نور القمر لم تسمح لي أن أسأل عن حالها، فقد قالت لا حال لي لتسألينني عنه، أنني أتنفس بصعوبة والروح تنسحب ببطء شديد، فهي لا تستمع لي ولا تطيعني في أوامر وطلبي للرحيل الأبدي بأسرع وقت.

سئمت من الحياة ومن أنني أستيقظ كل يوم وأنا حية لم أمُت، هذا فقط يزعجني، ويجعل بداية يومي فارغة وأنا جد غاضبة.

لا أريد أن أكون سعيدة، لا أريد أن أحظى بالحياة الجميلة التي أستحقها، لا أنتظر أن يضحك لي القدر فليس لي رغبة في الضحك معه، أريد كل هذا، أريد الرحيل ولي حق في الرحيل، وحتى لي حق في الموت.

قد يطول عمري فوق الثامنة والعشرين.

كل شيء ضاع بسببه، بسبب أبي الذي جعل مني كاذبة ومخادعة، أبي هو من دمرني وأوصلني إلى هذا الحال، أبي ظلمني وقتلني، أبي جعل مني عانسًا للأبد، أبي جعل مني عاهرة منعدمة الأخلاق، نعم أبي الذي هو أنا ابنته.

وأنا بعمر السادسة انفصل أبي عن أمي، جدي والد والدتي رفضني قبل ابنته ورماني، فما كان على والدي سوى أخذي للعيش معه، لم أكن أحب أبي منذ صغري، حزنت كثيرًا عندما وجدت نفسي معه ومعًا نعيش.

أكره أبي، أكرهه فقد كان يعامل أمي بكل قسوة وعنف، يضربها صباحًا ومساءً وليلًا وباستمرار، وأنا سوى أبكي لبكاء أمي وللمنظر الذي تكون فيه كالدجاجة التي روحها بيد مالكها.

تصل أمي للموت وتعود للحياة، فقد كانت تقول لي سأتمسك بالحياة سوى من أجلك.

أمي لم تناقش جدي، لم تعترض على قراره، قبلته، رضيت به ولم أرها منذ ذلك الوقت.

رحلت مع أبي بعيدًا، هي لم تبحث عني كما قال لي أبي، وأنا لم يسمح لي أبي بالذهاب إليها أو حتى رؤيتها من بعيد.

بكيت فراق أمي وبعدها عني يرافقني ويؤلمني بكل الأوقات وحتى الآن، حرموني منها بلا ذنب، ويا ليت تمكنت من رؤيتها.

الآن أنا ميتة وليس بإمكاني رؤية أحد، لم أجد الحنان مع أبي ولا في حضنه الذي لم أشم رائحته يوما.

لم أتقرب منه، ولا من لمساته وقبلاته لي التي لا أشتهيها ولا أريدها.

كل ليلة أجلس مع دموعي، وسادتي تشهد على ذلك، والنجوم التي فوقي كذلك تشهد، بعددها بكيت واحترقت وأنا لا أفقه شيئًا بعد من الحياة.

أبي جد بعيد عني، لا أشعر بقربه وحتى وهو قريب. فرحت في ذلك اليوم الذي جاء ابن عمي إلى بيتنا، ابن عمي صاحب العشرين سنة، سيقيم عندنا فهو يعمل بالقرب من منزلنا، أبي سمح له بالإقامة معنا. فرحت بأنه سيكون معنا أحدًا غير أبي بالبيت.

اتوقف عن الذهاب عند الجيران بين الحين والأخر، فأبي يغيب اليوم كله في عمله ويعود بالليل، فلا أعرف شيئًا عن شعورالأب، والأب فعلًا ليس لي لا أب ولا أم ولا اخوة لسوء حظي.

كان ابن عمي يغيب كثيرًا عن عمله ليبقى معي في البيت، لم أنزعج لتواجده بالبيت بشكل شبه دائم ومستمر.

مرة من المرات لاحظت أنه ينظر إليّ تلك النظرات التي لا أحبها ولا أريدها ولا أعرفها، لكن شعرت أنها نظرات سيئة وجنسية ستؤدي إلى أمر فضيع وبشع سيحدث معي.

بدأت أهرب وأتهرب منه وأتجنبه.. تحرش بي، أخبرت أبي، أبي الذي صفعني كفا بقي أثر يده على خدي لمدة أسبوع، ضربني، كسر قلبي لأننب أخبرته الحقيقة التي رأها افتراء، وأنني أبتلي على ابن عمي الخلوق المؤدب البريء.

رد على ما أقول وما قلت بالتهيئات لكثرة مشاهدتي للمسلسلات،احتميت بأبي وهو رماني خارجا، خارج حمايته وأمانته، فأصبحت وحيدة بلا مأوى وبلا رحيم، فأبي لم يستمع إلي رغم أنني استنجدت به عديد المرات، وكل مرة كنت اتلقى صفعات واهانات منه.

لما فعل معي هذا؟ لا ادري، هل الأب لا يحب ابنته التي من صلبه حقًا؟ فشيء لا يصدق وكنت لا أصدقه، لكنني صدقته بسبب أبي الظالم.

جاء اليوم الذي فيه ضاع كل شيء مني، وكان قرار الرحيل قرار نهائي لا رجعة فيه، عدت من المدرسة، كان ابن عمي بالبيت، ذهبت مباشرة إلى غرفتي لتغيير ملابسي، وأنا بغرفتي دخل ابن عمي غرفتي وأقفل الباب بالمفتاح، لا لشيء لكي لا أتمكن من الخروج إلى الصالة. تأكدت أنه سيحدث الذي لا أعرفه، بكنه سيحدث الذي لن أتقبله ولن أتحمله، اغتصبني بكل وحشية، لم يكن إنسانًا فقسمًا قد كان ذئبًا بشريًا ووحشًا وحيوانًا لم أسمع عنه يوم ولم أراه ولم أكن أعلم بوجوده.

فقد كان ابن عمي هو الوحش والذئب والحيوان، أنني أحكي لكي وأرى كل الذش عشته كشريط فيديو وكفيلم أشاهده معك.

اغتصبني، وغادر غرفتي وكأنه لم يفعل شيئًا، نعم أنا ابنة الثالثة عشر قد أكون أجهل الكثير وفعلًا أجهل، ألا أنني عرفت أنني فقدت شيئًا هو مني، وبسببه كنت أعالج حالتي بالبكاء والصراخ.

عاد أبي وأنا بغرفتي، لم يسأل عني، لم يلقي نظرة عليّ، أكل ونام مباشرة.

بقيت بغرفتي أيام، امتنعت عن الأكل والشرب لأموت، لم أتحمل ذلك العطش القاتل والجوع الشديد.

انسحبت البراءة مني وانتهت طفولتي، لم أبقى تلك الصغيرة، شعرت أنني كبرت كثيرًا، بقيت تائهة مع نفسي وفي الحياة، وظل ابن عمي يتردد إلى غرفتي باستمرار، واخبر أبي وأبي لا يستمع، هربت من البيت وأنا اجهل إلى أين أذهب.

وجدتني سيدة في تلك الليلة الباردة المظلمة جدًا، اخذتني إلى بيتها، حكيت لها كل شيء، في الصباح الباكر أخذتني إلى الشرطة، تم القبض على ابن عمي والجميع عرف بقصتي، والغريب أن أبي بكل مكان يقول ابنتي مذنبة وابن أخي بريء، لم أستطع البقاء والعيش معه بعد أن شوه سمعتي، وجعل من شرفه ملوث ووسخ بفضله، وبوقوفه مع المجرم ابن أخيه.

عشت عند هذه السيدة طيلة هذه السنوات، هي امرأة فاضلة وحيدة، تعاملني بكل حب وحنان، ألا أن زوجها لا يحبني ورفضني ولا يزال يرفض تواجدي معهم.

حاولت ارسال روحي إلى السماء وفشلت وأمي حياة كانت تنقضني، لم اكمل دراستي، لم أتزوج فقصتي يعرف بها الكبير والصغير، وابي جعل مني عانس ولن أسامحه، وهو ليس أبي، ولا أريد أن يكون أبي.

بقيت فوضى مشاعرها وقلبها وعقلها وافكارها وحياتها، وصلني ذلك النداء الذي شعرت فيه بالذنب وبالعار على أب حطم حياة ابنته، وتخلى عنها وهي منه وهو منها.

ما نوع هذه الأباء؟ فمن غير الممكن أن تكون هذه القلوب من لحم ودم وشرايين وخيوط رفيعة كما الذي عند الانسان وحتى الحيوان، شيء لا يصدق أن مثل هؤلاء البشر تحضى بالعيش والتواجد على الأرض ومع الطيبون الأبرياء.

كم هي حواء تعاني من القريب قبل البعيد، كم هي تتألم وتسعى وتحاول جاهدة لايجاد مخرج ومنفذ ونجاة لكل ما تعيشه وتمر به ويمارس عليها.

أحاول وأحاول أو أواصل، وتواصل إذني وقلبي في الاستماع، وعقلي في الاستيعاب.

عقلي يعاندني، قلبي لا يتحمل، فهذا لا يمكن أن يحمله أو يتحمله حتى الذي يستمع فقط. أردت سماعها أكثر رغم هشاشة مشاعري وأحاسيسي في التحمل. أردت التقرب منها أكثر لتشعر أنني موجودة فترتاح وتطمئن، لتتخلى عن فكرة الرحيل التي لن تكون إلا بالانتحار. الانتحار له طرق كثيرة وعديدة.

انتهت المكالمة، اتصلت بها في الحال، وكان الاتفاق في الأخير على اللقاء والالتقاء أمام العمارة التي تقيم بها. لن أتركها مع تلك الآهات والآلام والأفكار الفوضوية المزعجة تصارع وتنازع إلى حد الاستسلام الكلي النهائي.

إنها لا تزال شابة، ومتى نهضت نهض معها كل شيء تريده ولصالحها. سأمد لها يدي لمعانقتها والمضي قدمًا معًا.

قابلتها لأنني أردت اللحاق بها. التقيت بها باكرًا. كان اللقاء الحقيقي. عانقتها بشدة، وبدأت في البكاء. بكت بكاءً لا مثيل له. شاركتها البكاء وكأنني أشاركها الحديث والكلام.

شاركتني العناق. كانت تلك الأخت التي لم أحظَ بها. نادتني بأختي، فكيف للأخت أن تترك أختها تسقط وتغرق وهي تعرف السباحة؟ وإن لم تكن تعرف فتكون بارعة ومتمكنة في تلك اللحظة وفي الحال. من أجلها المستحيل سهل وممكن ولا شقاء ولا تعب فيه.

جلسنا على عتبة الباب الكبير الرئيسي. المكان كان هادئًا لأنها في الصباح الباكر، كانت الحركة خفيفة، وحركة قلبي وقلبها وأعضائي وأعضائها، ومشاعري ومشاعرها، وأحاسيسي وأحاسيسها لم تكن بهدوء وسكون المكان. كان هناك الفارق الذي جعلنا جدًا متحمسين لقدوم الآتي.

كانت هادئة تشبه القمر المهيأ للمغادرة ما بين الليل والصباح. كانت مشعة كالنور الأول في بداية النهار.

كانت تلك التي لا وصف لها فقد انحدر كل الجمال والروعة في الانضمام إليها في الصف الواحد المستقيم. كانت تبتسم، وأنا أبتسم معها. ابتسامتها كلها أمل وتفاؤل. هي تريد الحياة الأخرى الآن، ولها تلك الحياة، فهي لأمثالها ولها لا لمن جعلوها بهذا الاستسلام القاتل المحزن.

شفقت عليها رغم أنني لا أحب أن أشفق على حواء. لم أترك ذلك القلب النقي الطاهر ينزف بتلك الاعترافات التي فيها رجاء وطلب وتوسل لتصديقها. تقريبًا الجميع جعلوا منها قبيحة بشعة وهي كل النقاء والطهارة والصفاء والنظافة.

جلسنا قليلًا. كانت خائفة من زوج المرأة التي تقيم عندها. لم تطلب مني شيئًا باللسان، طلبت الكثير بالنظرات ولمسات الوداع السريع.

أخرجت من حقيبتي علبة بها هاتف. هو لها، قد اشتريته من أجلها لنبقى على تواصل. الهاتف حديث وجيد، فيه الكثير والكثير. به الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي لتتعرف على العالم أكثر وأكثر، ولتخرج من حالة الوحدة والاكتئاب واليأس التي استولت عليها، وستجعل منها قريبًا مجرمة لولا قدومي وقدومها لي في الوقت المناسب. القدر أراد ذلك لها. أراد التغيير والأفضل عن طريقي بمساعدة أولية مني، والباقي هي قادرة على صنعه بشكل لائق وجميل ومشرف. أنا متأكدة من ذلك.

فرحت به كثيرًا وقبلتني. ومن هنا بدأت الأبواب تنفتح من عندها ومن طرفها دون شعور منها أو قرار وتفكير مسبق.

بكل عفوية وافقت على العودة إلى الحياة التي تنتظرها لتبنيها وتسكن فيها على طريقتها وبتجهيز منها.

تقربنا من بعضنا البعض بشكل ومقدار غير متوقع لا منها ولا مني. أصبحت تلك الأخت التي من صلبي وأنا منها. نتواصل بشكل مستمر ودائم، وهي لا تغيب عني. تقاسمني كل شيء.

نشطة جدًا في نشر كل ما هو إيجابي. أخبرتني أنها تقرأ الكثير من الكتب من الإنترنت لتعيد الكتابة والقراءة البسيطة التي تعلمتها.

أنا فرحة وهي تخطو الخطوات الأولى نحو الأجمل وما يريحها ويسعدها ويجعلها مختلفة عما سبق بكثير.

قبلت أن تعالج نفسها من كل العقد والأزمات النفسية التي تلازمها وتطاردها. بدأت تمارس الطرق الفعالة بقابليتها للعيش بالشكل الآخر المناسب واللائق لها.

أنا معها وأتابعها وأقدم لها كل الدعم الذي هي بحاجة إليه لتنتقل إلى العالم الآخر الحقيقي الذي لا بد أن تكون فيه اليوم بالصباح قبل المساء.

بدأت أطمئن من ناحيتها وعليها. تسير في الاتجاه الصحيح الذي يؤدي بها إلى النجاح والتغيير. لم يفت الأوان بعد لعيش ما فات، وتعويض الكثير مما راح.

خطواتها دقيقة. لا تزال خائفة وتشعر أنها غريبة عن الآخرين، ولكن خوفها هذا لا يجرها إلى الوراء وإنما يدفع بها إلى الأمام وبقوة. هي بسرعة تستجيب، فهذا ما تريده وهي تعرف ما تريده.

لا بد أن تكون كل واحدة فينا واثقة من نفسها. ثقة حواء بنفسها هي التي أوصلتها لأبعد الحدود وصدمت وفاجأت الجميع على الأرض.

تشجعت لمقابلة إسراء. قابلتها في مقرها. جلسنا لوقت طويل، تحدثنا، وداعبت شفتانا فناجين القهوة عدة مرات بكل متعة واستمتاع.

جعلت إسراء تتعرف على نور القمر، اللتان أصبحتا صديقتان مقربتان جدًا. حتى أنني فقدت تلك الفرص الكبيرة في التكلم مع نور القمر، سواء على الهاتف، أو الفايبر، أو الإنستجرام، أو الإيمو، أو البوتيم. هي مع إسراء يجيدان الثرثرة ولا يملان من كثرة الحديث بالعكس.

لجأت إلى الرسائل لأطمئن على هذه وتلك.

اتصلت بي أسماء ثانية، فرحت بمكالمتها الثانية. اتفقنا على اللقاء، لكنها ستبقى في منزلها، وأنا سأوصل الهاتف الذي اشتريته من أجلها لها.

وصلت إليها، رمت لي قفة خشبية بها حبل، كانت تمسكه من شرفة مطبخهم. وضعت الهاتف الجاهز للتواصل مباشرة، فسحبت القفة واستلمت هديتها التي ستغير منها الكثير.

دخلت معها في تواصل عميق جعلني قريبة منها، كقربي من إسراء ونور القمر، فحواء مع حواء تتفق، وحواء مع حواء التي تشبهها يكونان كالشخص الواحد.

نتبادل الصور نحن الأربعة، نضحك، نمرح، نتكلم مع بعضنا البعض بكل حرية وحب كبير مع احترام قوي.

تمنيت لو كانت مريم معنا، فالفضل لها أن أسماء وإسراء ونور القمر يعشن ولو القليل من الفرح بالداخل، بالباطن.

يومنا يوصف باليوم الرائع، لكي يكون يومك رائعًا مختلفًا جميلًا كما تريد وترغب، عليك بالابتسامة من أول اليوم عند الاستيقاظ.

فمن ابتسم قد بعث دعوة حضور للسعادة، وللمرح، وللفرحة وكل جميل هو للابتسامة يقدم. الدعوة تتضمن عبارة "سرعة الحضور والتواجد عند العنوان الذي أنت فيه متواجد".

لن يكون اليوم رائعًا وأنت فيه حزين بسبب وبلا سبب، كئيب بسبب وبلا سبب. قد استيقظت بوجه غير ضحوك ببخل منك أو لسبب، والتعاسة وكل التعاسة ترتديها وهي ظاهرة، وإن لم تكن ظاهرة فهي حتمًا موجودة بالكيان الباطني الذي منه يبدأ كل شيء إلا أنها لم ترد الظهور.

قبل أن ترسم الابتسامة على طرق الملامح وتضاريسها، فقد رسمت على مداخل القلب ومخارجه وأسواره، وعلى الجوارح والمشاعر والأحاسيس الذي منه تم اتخاذ قرار إرسال دعوة للروعة للقدوم في الحال.

لن يكون يومك رائعًا وأنت لم تبتسم فيه ولم تنوِ حتى.

يمكنك أن تجعل من يومك الجاف العادي الممل المليء بالروتين والتكرار يومًا مختلفًا ومغايرًا ولا يشبه سائر الأيام. فجمال وروعة يومك عندك وبيدك.

لم تنتهِ اتصالات ضحايا العنوسة من الآباء. اتصلت بي محبة الرحمان بالليل، في عالمنا الخفي. فحريتنا الجزئية تأتي عند نوم الجميع وحلول الظلام وطلوع القمر وظهور النجوم.

طلبت مني محبة الرحمن أن لا أقاطعها، وأنا لن أقاطعها فهذه فرصتها للتفريج عن نفسها، ولجلب العلاج لجراحها العميقة.

قصتي وحكايتي لا أدري إن كانت لها بداية أو نهاية. قصتي إن سمعها الكبار ماتوا قبل الأجل، وإن سمعها الصغار توقف بهم النمو والكِبر.

فتحت عيناي فوجدت أمي تبكي بالصباح وبالمساء، وحتى بالليل. وملامحها بالألوان الأزرق والأحمر والبنفسجي والأصفر، هذه الألوان أثار الضرب المبرح والكدمات القوية.

أنا أكبر إخوتي، أنا البنت الكبيرة ولي أخ أصغر مني والآخر أصغر منه.

أصبحت لا أحب مغادرة المنزل من أجل أمي، لأحميها من أبي، أبي الذي يضربني ويضربها والصغار ينظرون ويشاهدون ويبكون بصمت لقساوة المشهد وخوفًا من أبي.

وفي ذلك اليوم، دون إطالة، فالذي عشناه أنا وأمي وإخوتي قبل هذا اليوم ليس فيه السعادة ولا الراحة ولا الشيء الخفيف الذي يزور بسرعة ويغيب في لمح البصر.

استيقظت على صراخ أمي، أمي التي قررت أن ترد على أبي لأول مرة، وتقول له توقف وارحل ولن أبقى معك ومع أطفالي. وأن الشارع والتشرد والتسول والفقر الشديد أهون وأحسن من التواجد معك تحت سقف واحد.

بدأ أبي في ضرب أمي بلا توقف وأمي تقاومه وتمكنت هذه المرة من التغلب عليه، ففرحت كثيرًا لقوة أمي التي اكتسبتها منها. وأنا اليوم واقفة وصامدة لأنني ابنة أمي لا ابنة أبي المجرم الظالم.

شعر أبي بالإهانة لأن أمي تنهض مع كل سقوط يسببه.

توجه أبي إلى المطبخ دون أن ألمحه. وفي تلك اللحظة السريعة كان يطعن أمي الطعنات النهائية القاتلة التي على أثرها سقطت أمي في بركة دمائها الطاهرة ميتة دون أمل في النجاة أو إسعافها.

هرب أبي الذي ليس أبي كالجبان، كالمجرم الندل الذي يفعل فعلته الشنيعة ويختبئ كالفأر في أي غار.

بقيت أجري وراءه، ألاحقه، عرفت مكان اختبائه، جاءت الشرطة ونقلت أمي، أرشدت على مكان أبي، وأصبت بصدمة. بقيت في المستشفى أتلقى العلاج لمدة ستة أشهر. أما إخوتي، امتنع أهل أبي من أخذهم، فتم إيداعهم في دار الأيتام.

وأنا بعمر الثانية عشرة، بنفسيتي المريضة الشبيهة بالجنون تنقلت في الشوارع لمدة سنة، أهرب من هذا ومن ذاك، من وحوش الأرض والشارع. في الأخير، هربت لإنقاذ نفسي من الدمار والانحراف إلى دار الأيتام. كله من أجل أمي التي علمتنا كل ما هو جميل وصالح، ومن أجل إخوتي لأتمكن من رعايتهم جيدًا.

درست ونجحت، والآن أنا محامية أدافع عن كل بريء، وأساهم في عقاب كل مجرم.

إخوتي معي، عدنا إلى منزلنا والآن نحن معًا وألم الماضي يلاحقنا. والآن أنا بسن الخامسة والثلاثين، ولا أحد يريد الزواج بي لأن أبي قاتل.

أبي جعل مني عانسًا، جعل مني يتيمة. أنا عانس بسبب أبي القاتل الذي تم إعدامه نظير قتله لأمي منذ سنوات طويلة. ورغم موته ورحيله الدائم بلا رجعة، فعلته البشعة لا تزال تلاحقني أنا بالأخص.

كل من يعلم بقصتي يرحل في صمت، ويختفي عن المكان. أصبحت عانسًا وسأبقى عانسًا إلى الرحيل.

هذه قصتي الموجعة التي أعيش كل تفاصيلها رغم أنها كانت في الماضي، إلا أن النتائج السلبية أدفع ثمنها أنا، وأدفع ثمن ما فعله أبي لأمي لأنني ابنته. ابنة أبي وأنا لست ابنته، أنا ابنة أمي الغالية رحمة الله عليها.

الحياة مملة ما دمت وحيدة، فلا القلب يدق، ولا هناك حبيب ينقلك من حال إلى حال عليه تبقى وتعيش وترفض العودة والرحيل.

من حولي يشبهني، فأنا لا أختلف عن تلك الخزانة التي في غرفتي. الخزانة الساكنة الحاملة المخزنة لأغراض الصيف والشتاء دون أن تعترض، أو تقول لا لأنني لا أقوى. فهي تحمل القديم والجديد، وتستقبل كل شيء دون رفض لأي شيء. أشبهها، فأنا حملت الأثقال، أثقال غيري وحتى ذنوبهم. لم يرد بعد الغد الأفضل طرق بابي، وحتى في عملي أعاني، فليس لدي قضايا إلا للغرباء الذين أتصادف معهم مرة كل سنوات. أما الذين يعرفونني، فهم يعرفون ما فعله أبي بأمي.

لا ينظرون، ولا حتى يحاولون من الفضول المزعج الذي يمتلكونه، ويظهرونه باستمرار، بالأخص معي، أن يروا تلك الأيام والسنوات الصعبة التي مررت بها أنا وإخوتي.

حكموا عليَّ بألا يتعامل أحد معي، كما حكم الظالم على أمي بالرحيل ببشاعة، وبدون رحمة أو شفقة، وهي التي أهدته ولدين وبنت من أجمل ما يكون. تحملت أخطائه وظروفه وتصرفاته منذ اليوم الأول دون اعتراض، بنت له البيت الذي هدمه وهدم من فيه بلا سبب. أمي ماتت بلا سبب. أراد لها أبي المجرم الموت لأنها جميلة ونظيفة وترغب في الحلال والهدوء والستر والطمأنينة. فقدم لها أبي، الذي يقولون عنه لحد الساعة، الهدوء الأبدي والسكينة الدائمة والنوم الذي لا استيقاظ بعده.

رحل معها كل شيء جميل ومفرح. لا أرى الحياة كما كنت أراها بوجود أمي. الذين حولي لا يزالون يحاربونني، ويرغبون في فعل شبيه بما فعله أبي.

صامدة من أجل نفسي، إخوتي أوصلتهم إلى بر الأمان، ولكل واحد منهم حياته وقد حدد بأي الطرق والطريق يمشي ويتجه.

بقيت أنا أصارع أشباه البشر بين الحين والآخر، ومنذ الاستيقاظ إلى أن يقول الليل بواسطة ظلامه وسكونه ووحشه للجميع غادروا وأغمضوا أعينكم، وتوقفوا في هذا الليل عما تفعلون وتلمحون إليه إلى هذه المسكينة.

الليل في خدمتي، في صفي ومعي وعني يدافع. وغير متساهل مع أحد. الليل مسكني الذي أتنقل فيه بكل حرية وأمارس فيه كل ما أريد دون خوف من أحد أو مراقبة القريب والغريب.

بالليل أنا قوية لا أهاب الضياع والتهديد، أنا صلبة كالحديد وشجاعة الأسود تليق بي.

بالليل أنا بكل استعدادي وأنوثتي أخاطب وأخرج مع النجوم، ومع أحلامي لنعيش الأمل، ونرى شقه المنير الذي لا ينير إلا بليلي.

ماذا أفعل؟ أين أذهب؟ كيف أكمل ما تبقى؟ العمر عندي بطيء، والوقت معظمه معطل. وجدتُك بفضل صدفة شجعتني أن أفتح قلبي، وأقلب في كتابه لأقول لكِ كل شيء. فقد حان أوان عرض الحقائق ودفن الأكاذيب.

أنا الضحية بنظر نفسي والمتهمة بأعين الجميع بلا استثناء. وجدتُك لأرافقك بعد أن قلتِ كلمة السر، ألا وهي "أبي جعل مني عانسًا". هذه الأحرف الطويلة العريضة كلمة واحدة منفصلة، كلمة سر أيقظتني حافية ومستعجلة لبدء معركة جديدة، معركة أكون فيها أنا القائدة والجندي، والأسلحة والعتاد والانتصار حليفي ومن نصيبي. المعركة لي ومن اندلاعي، والانتصار في صفي وبالقرب مني، ملتصقًا بعض الشيء، تمكنني من فك حبال وألغار وعقد السر في ثانية، واتخاذ قرار حاسم ونهائي به أنا الآن وأنتِ، التي في الكلام والتي في الاستماع.

أريد التقرب منك أيتها الذكية، فالحل والعلاج بحوزتك، وفي جيبك الأيمن وحتى الأيسر.

أريد وضع يدي على ورقة الاتفاق، على وثيقة العهد والصداقة، فأنتِ من بحثت عنها في جميع الأرجاء.

أريد عند حلول الصباح اللقاء، فإنني أعرفكِ منذ الزمن البعيد ولكن كنتِ مجهولة بالنسبة لي. والآن، الوضوح الذي أرغب في التواجد معه، ولو في ذلك الوقت السريع المختفي عند الثانية الأولى.

كان اللقاء في عجلة، فهي التي حدثتها بالليل التقيت بها في الصباح. دخلت مكتب محبة الرحمن المرتب بكل حب للمهنة وهدف العطاء.

دخلت عالمها الخاص جدًا لأول مرة بالنسبة لها، غرفتها، مكتبها، وغير الحمام لا تستعمل أي زاوية من ذلك المنزل. فلا تزال تشعر أنها الغريبة الضيفة التي لن تتعدى في السير والتنقل المسموح لها من طرفها.

بقينا لبعض الوقت، رأيت ثوب والدتها الميتة المقتولة، الثوب الأبيض والأزرق السماوي الذي كله دم من اللون الداكن. لم ترد رميه ولا غسله، وكل ما تشاهده تصر على البقاء وطلب الحق لها ولكل من له حق.

أنا فخورة بها، فهي تسعى إلى كل ما هو إنساني ونبيل.

غادرنا المكان باتجاه أي مكان، استقرينا على كراسي الطريق. كان هناك فوضى وأصوات وازدحام، ورغم هذا سمعتها، سمعتني، فالقلب يسمع والقلب يتكلم.

أهديتها ساعة نسائية جميلة جدًا، وطلبت منها أن ترتديها بكل الأوقات، حتى بالليل. والساعة مع مرور كل ساعة ترن، رنة قوية حنونة حماسية غير مزعجة، لتنهض محبة الرحمن غاليتي من سقوطها الألف، لتسارع وتدخل في سباق مع نفسها. فالفاصل بينهما الوقت الذي بهذه الساعة والمنبه سيكون في خدمتها ومعها، فتصبح ترى الوقت كما لا تعرفه وتحسبه، فهو ذو حسبة مختلفة وهي صاحبته.

دائمًا حواء الغير عانس تحاول.

كثيرًا ما نحاول، نحاول عديد المرات ولا ننجح، ولا حتى نتوصل إلى ما الذي أدى بمحاولاتنا إلى الفشل واستمراريتها في الفشل رغم التغير في طرق ووسائل ومواقيت وأمكنة المحاولة. ورغم ذلك تكون النتيجة الفشل والسلبية التي لم نتوقعها ولم نجتهد لتوجد. ورغم الاختلاف الواضح وبين المحاولات، إلا أن الفشل هو النتيجة الواحدة الوحيدة التي تجمع جميع المحاولات في النهاية، رغم الاختلاف في التنوع والتغير والتغيير الذي لا يعلمه العديد ممن يحاولون باستمرار متكرر ومتعدد. إن المحاولة لا تحتاج من صاحبها التكرار وإنما الإرادة والإصرار، التحدي والسعي.

الاجتهاد والثقة بالنفس لتحويل المحاولة من محاولة عادية إلى محاولة متميزة ومنفردة عن نتائج المحاولة العادية. وهذا ما يصنع الفارق بين المحاولتين والمُحاولين.

ننجح في محاولتنا ونلبسها الثوب المناسب الناجح ولا نجعل من محاولتنا محاولة مرتدية للملل والكسل اللذين سيؤديان إلى الفشل دون شك.

نحن أو الظروف أو من حولنا هم من تسببوا في وجود هذا الفشل، إلا أننا، ولوحدنا، وبالتغلب على الظروف، نستطيع أن نحول فشلنا إلى نجاح ونجاح ليس كأي نجاح.

انضمت المحامية إلى الأخريات الرائعات، فأصبحن فريقًا مفعمًا بالحياة، يحب كثيرًا التحدي والمغامرات.

بدأت الحياة تختلف بالنسبة لنا. من كانت تفكر في الرحيل هي الآن متمسكة بالحياة. هذه أخت حقيقية لتلك، التي تبكي نبكي معها، والتي تفرح نفرح بقدر فرحتها وأزيد. هذا ما أردناه يومًا ما، وها قد كان. لأول مرة الحظ يرافقنا، نحن محظوظات بلقائنا، وكوننا اليوم صديقات ومثل الروح بعدة أجساد.

حظيت باللواتي جعلن الحياة أكثر جمالًا ومتعة. كثيرًا حزنت على مريم التي لحد الآن لم أتمكن من معرفة أي شيء عنها.

مرت فترة ليست بالطويلة جدًا، إلا أنها طويلة بالنسبة لي. بقيت متمسكة بحبل الأمل الرقيق في إيجادها، وهذا الأمل قد أكمل حلمي وفرحتي، فهي العنصر الأساسي الذي ليس لنا بدونه.

حكيت للأخريات عن مريم، عرفن كيف وصلن إلي ووصلت إليهن من منشور "أبي جعل مني عانس".

يا للفرحة، ممرضة عيادة طبيب الأسنان اتصلت بي، وتمكنت من التحدث مع مريم عبر الهاتف.

مريم رأت منشوري بعد عدة أسابيع طويلة أصبحت شهورًا.

أخرت قصدًا كل المشاريع من أجل قدومها ليكتمل فريقنا، فريق العوانس العانسات، ويبدأ التغيير نحو الأفضل.

مريم لا تمتلك وليس بحوزتها هاتف، لم تستطع الاتصال بي. اتجهت إلى العيادة، أين كانت الصدفة. وأراد لنا القدر أن ننتقل بمساعي وجهود حواء بوضع اليد فوق اليد واليد مع اليد، والمضي معًا نحو الذي أردناه.

أخيرًا، مريم تكلمني ولا تعرف أنني تلك التي دخلت في حوار معها، تلك التي فتحت لها قلبها في ذلك اليوم. كلمتها وكلمتني من هاتف الممرضة. لم ندخل في تفاصيل، تركت الدقة وقول الكثير في ذلك اليوم، يومنا، يوم التلاقي. بسرعة فائقة خرجت من البيت مسرعة حتى أنني لم أرتدِ ثيابي، ثياب الخروج، فقد ارتديت معطفًا بنيًا خفيفًا طويلًا بعض الشيء فوق البيجامة. كنت مستعجلة ومريم ليس لها المكوث أكثر في العيادة.

وصلت في الوقت المناسب، لحقت بها وهي بخطوتها السريعة تمكنت من مسكها من يدها. قالت: "من أنتِ؟"، وبعدها مباشرة، بعد سؤالها تعرفت علي.

بقيت واقفة وتسترجع ما دار بيننا في ذلك اليوم، اليوم الأول بيننا. ساعدتها على التذكر، عرفتني بصعوبة مع سهولة مني ومنها. هي على عجلة من أمرها تريد المغادرة في الحال.

أعطيتها هاتفها الجديد الذي اشتريته منذ مدة، فقد كنت أعلم أن لا هاتف لها وهي كل دقيقة تسألني عن الساعة. وقتها أدركت وعرفت وتيقنت أنه لا هاتف لديها.

جهزت لها وسيلة التواصل كأول واحدة وها قد جاء اليوم الذي استلمت فيه مريم هديتها مني لها.

رفضت في الأول أخذه خوفًا أن يلمح أحد أن لها هاتف، لكنني أصريت، أخذته وغادرت وبدأت في التواصل القليل معها عبره. فهي ليست كالباقيات، هي تخاف بشدة وتكلمني سوى في أوقات متأخرة من الليل خلسة كما نفعل جميعًا، فهذا هو سكننا الخفي الذي نلتقي فيه بعيدًا عن أعين الجميع.

علمت أنني أنا من نشرت من أجلها، فهي من كانت تردد "أبي جعل مني عانس".

أنا أكثر واحدة متحمسة وبشدة لمعرفة ما الذي جعلها تقول هكذا، ولمَ تتهم أباها بأنه جعل منها عانسًا، وكيف جعل منها عانسًا، وما الذي فعله، ما الذي حدث وكان. فإنني أتوق لمعرفة كل هذا وأكثر بالتفصيل.

لم ترد مريم فتح قلبها عبر الهاتف، فهي تريد من تشعر بوجوده، وبالأمان أكثر معه.

بقيت أنتظر، انتظرت طويلًا إلى أن تمكنت من رؤيتها، وفي ذلك اللقاء حدث عكس ما رتبنا وخططنا له.

جاءت تبتسم من بعيد، تمشي بفوضى وهدوء معًا. اشتقت لملامسة قلبها ثانية، وبأكثر عمق هذه المرة. أريد استمرار تلك الابتسامة التي قدمت بها.

وأنا واقفة في الجانب الآخر من الطريق، وهي قادمة نحوي لنغادر ونهرب معًا بعيدًا عن أعين الجميع، لنكون في المكان الذي اعتدت الذهاب إليه منذ فترة. فهناك أجد راحتي والأنيس الذي يقدم الدواء والعلاج بالقليل من النسمات، بالتأمل في روعة المكان وجماله وما يوجد به، بصوت الماء الذي يطرب كل أذن مليئة بصراخ الآخرين وضجيجهم المدوي على الدوام وباستمرار.

بدأت خطواتنا تقل سرعتها عن الأول، كنت متمعنة في رؤيتها، دقيقة جدًا ومركزة في مراقبتها وهي بعيدة.

هي بدأت تقترب مني، بدأ اتزانها في الانحناء ووقوفها يميل يمينًا ويسارًا. بدأت أقلق، بدأت أتقدم نحوها ببطء شديد لأرى أكثر وأتأكد.

فجأة رفعت يدها لتقول لي أنها هنا، وفي نفس الوقت "اسعفيني، فإنني أسقط، فكوني الحضن الذي أسقط فيه غير مصابة".

فهمت الإشارة والنداء الآخر الخفي الذي فهمته من حالتها التي تغيرت فجأة.

بدأت أجري وأجري، ويداي مرتفعتان عاليًا لأوقف هذه السيارة وتلك لأكون عندها في الوقت المناسب.

هي كانت تقاوم إلى أن أصل، وصلت أغمى عليها بين ذراعي، احتضنتها بشدة وبدأت في صفعها على الخدين الأيمن والأيسر معًا، محاولة جعلها تنهض وتفتح عيناها، لكنها لم تستجب. الجميع شاهد المشهد الأخوي، أخت وأختها. الجميع تأثر وأنا قوية متماسكة رغم السقطات التي لازلت لم أقف منها.

شعرت أنني قادرة على حرق اليابس وإحياء الأخضر. اتصلت بالإسعاف الذي جاء بعد ربع ساعة بالضبط.

هي لا تزال تتنفس وعلى قيد الحياة، لكن لا أدري ما الذي تشتكي منه؟ ما الذي حدث لها ومن ماذا؟

وصلنا إلى المستشفى، وأنا أجري بها مع الممرض بسرير المريض. لم أترك يدها حتى ونحن داخل المستشفى.

تم وضعها في الغرفة والطبيب قال لا بد من عمل تحاليل وأشعة في الحال، للوصول إلى السبب الذي جعلها بهذا التعب الشديد. أيدت كلام الطبيب وبالفعل تم عمل اللازم من قبلهم.

تعبها استلزم بقائها في المستشفى. حالتها لم تسمح بمغادرتها، لا بد من انتظار النتائج.

ذهبت إلى بيتهم لأخبر أهلها بما حدث. رافقني والدها إلى المستشفى، أصر على إخراجها في الحال، وأنه لن يدفع دينارًا واحدًا للمستشفى ولعلاجها. تمكنت من إقناعه بأن بقاءها هنا ضروري وأنني أنا من سيتكفل بالمصاريف، فكان الذي يجب أن يكون.

غادر والدها وبقيت أنا بجانبها طوال الوقت دون تركها ثانية واحدة. كلما كانت تستفيق تجدني معها. كانت تبتسم وتشكرني وتعود ثانية فاقدة للوعي بسبب الأدوية والإبر.

جلست مع الطبيب الذي أخبرني بنتائج التحليل والأشعة، سمعت ما لا أحب سماعه عن عدوي حتى. إنها مصابة بالسرطان في المرحلة الثانية، ما بين الثانية والثالثة. لابد من بدء العلاج في الحال على أمل النجاة والقضاء على السرطان قبل انتشاره بشكل كامل.

في الحال اتصلت بدكتور أعرفه بمصحة علاج سرطان الثدي، واصطحبتها هناك لبدء العلاج الكيميائي. لم أستطع إخبارها بمرضها، أخبرتها أنه لا بد من العلاج لكي لا تمرض ولا تتعب ثانية. فهي جد طيبة وتصدق الغريب قبل القريب.

لم أخبر أهلها في الأول بمرضها. عادت إلى منزلهم، وفي الصباح الباكر ذهبت لاصطحابها لبدء العلاج الكيميائي. وأنا في المصحة أساعدها في تغيير ملابسها، لاحظت كدمات وبقع وآثار ضرب جديد. لمست تلك الآثار، بدأت تصرخ ألمًا وبكاءً. فهمت أن الذي بالبيت، احتمال كبير أباها المسن هو من ضربها. لم أسألها ما الذي حدث، فقط حاولت التحسين من نفسيتها للدخول للعلاج.

بقيت بانتظارها بالخارج كما تنتظر التي أعرفها دورها كل مرة. لم تكن مريم خائفة لأنها لا تعلم ما الذي أصابها، التي أعرفها تعلم ما عندها فكانت تدخل غرفة العلاج مثقلة بالمحاولات والصراع مع نفسها.

لم أتعجب لحال مريم بعد الخروج من غرفة العلاج الإشعاعي الكيميائي، فالتي أعرفها قد تعودت على رؤيتها بهذا الحال والتعب والانهيار وأكثر من ذلك. فعرفت كيف أتعامل معها.

مريم كثيرًا ما تثق بي. الثقة عند الغريب اليوم من الأمور الصعبة المنال.

أن تجد من يثق بك وتثق به بالقليل، وبالصعب في نفس الوقت، وهذا راجع إلى الكم الهائل الكبير من الخيانات والقضايا والجرائم التي جعلت الكثير في تفطن وإدراك وانتباه كبير. جعلهم يدققون ويدرسون الشخص جيدًا، بتمريره حول امتحانات واختبارات وتجارب ليتم التأكد ما إذا كان صاحب ثقة ويمكن الثقة به أو لا. وهذا أنسب من أن تنقرض الثقة بشيء كلي.

أكثر الناس الذين خدعوا وطعنوا ثقتنا هم الأقرباء، القريبون منا جدًا الذين منحناهم كل الحب والثقة واعتبرناهم أنفسنا دون أي مبالغة. أموالنا وحاجياتنا وأسرارنا وحالنا، حياتنا السرية والعامة معهم وبجيبهم وتحت تصرفهم. كل هذا من ثقة كبيرة قد منحناها لهم لأنهم أبدوا لنا في الأول مدى احترامهم وتقديرهم لنا، واستعدادهم للتضحية من أجلنا دون أي تأخير أو تردد أو تفكير.

من تصرف بطولي مزيف منهم معتمد على التمثيل والخداع صدقناهم ووثقنا بهم ومنحناهم صلاحيات لا يمتلكها غيرهم. تلك الصلاحيات تجعل منهم الشخص الثاني منا.

بعد عديد المواقف والأمور التي بينت وأكدت على أن معظمهم لا يستحقون تلك الثقة وذلك الحب والاهتمام الذي صدر منا ومن طرفنا ظنًا منا أنه المناسب في المكان المناسب إلا أنه المخادع الذي حل بمكان غير مكانه.

بدأنا نمحي تلك الامتيازات منهم بقرار نهائي بعد بحث وتأكد وإثبات مستنبط من أعمالهم وأفعالهم وتصرفاتهم التي أثبتت معدنهم ونواياهم. وماذا نحن بالنسبة لهم مما أصبنا بالدهشة والصدمة التي قللت ثقتنا بالجميع بشكل كبير وواضح أثر فينا التأثير القوي الذي نتج عنه لا للثقة بأي كان. سواء كان قريب بالدم أو قريب بالصداقة، أو قريب بأي قرابة وقرب كان، إلا إذا كان بالفعل شخص أمين وصادق ووفي ومخلص يقدر ثقتنا، لا يخون الثقة الممنوحة له مهما كان ومهما حدث وحصل. هنا يتم فتح باب الثقة والخروج بالتوجه إلى صاحبها الحقيقي لا بالغلط.

القريب اليوم خاننا والغريب احتضننا وأثبت لنا مدى حسن نيته وتعامله وصدقه ووفائه الذي جعلنا نأخذ الثقة من القريب ونمنحها للغريب دون أي تفكير.

المواقف كافية بأن تبين نوع المعدن والشكل العام للنوايا وصدق الكلام والأفعال التي لولاها لما كنا قد وثقنا بالغريب بما أن القريب خان ثقتنا. فماذا عن الغريب الذي لا نعرف عنه الكثير؟ وإن كنا نعرف فهو غريب عنا وهذا يكفي بأن نتحفظ ونحتفظ بثقتنا عندنا ولا نفكر بمنحها بكل سهولة ولا حتى بصعوبة للغريب إلا أن الغريب كان ناجحًا في الاختبار وأعطى جميع الضمانات التي تثبت وتطمئننا بأنه هو القريب بالثقة والباقي غرباء وإن كانوا أقرباء وقريبين منا كثيرًا.

الثقة شعور بالأمان جالب للاطمئنان، من وثق بنا قد شعر معنا هذا الشعور. من وثقنا بهم قد أشعرنا كذلك بشعور الأمان والاطمئنان بأنه العضو الذي لا يختلف عن سائر الأعضاء التي تسكننا. فنفتح له أبواب بئر أسرارنا وحياتنا الخاصة جدًا والسرية، حتى أننا نضع المفتاح عنده. هذا كله لم يكن ولم يحدث من العدم، إنما هناك شعور قد وصلنا منهم وصدر منا ذهابًا إليهم. فشعور الثقة متبادل والنوايا واحدة. متى كان الشعور واحدًا والنية واحدة، فالثقة هنا تعطي أجمل مثال وقصة ونجاح عن الثقة.

لك أن تثق بالغريب متى كان منك قريبًا ومتى كان الشعور واحدًا والنية واحدة. لك أن تثق به حسب الشروط والصفات التي وضعتها لتتوفر فتمنح الثقة في الحال.

الثقة عند الغريب ليست جريمة ولا تهور ولا تسرع ولا غش وخداع من الغريب، متى كان الغريب بالفعل صادقًا ويستحق ثقتك وهو خير أمين وخير عامل وفقًا لثقتك التي هي بالنسبة إليه شيء مقدس لا يمكن الاقتراب منه ولا تغيير حقائقه وشكله.

لا نركز في منحنا للثقة إن كان ذلك الشخص قريبًا أو غريبًا، يكفي أننا نراه مناسبًا وقد أقنعنا وجعلنا نرضى، فوثقنا به بعيدًا عن معيار هو غريب أو قريب والقريب أولى من الغريب، أو الغريب أهون من القريب.

بقينا قليلًا في المستشفى إلى أن بدأت مريم تستعيد وعيها. غادرنا، ونحن في الطريق إلى بيتهم أخبرتها إن كانت تود العودة أو الذهاب معي. خوفها من أبيها جعلها لا تفكر، وقررت العودة.

أخذت منها وعدًا بالاتصال بي في حال حدوث شيء لها. هذا الوعد جعلني أطمئن نوعًا ما، وأسمح لها بدخول ذلك الباب المشؤوم الذي تسبب لها في كل هذه الآلام والمعاناة والمرض.

أتصل بها وتتصل بي في كل الأوقات متى تمكنت من مكالمتي. فلا يزال الوضع عندها صعبًا ويعيق استطاعتها عن فعل أبسط الأمور والأشياء، ومنها الحصول على هاتف والتكلم في الهاتف، الخروج من البيت والبقاء في البيت على حريتها المطلقة وراحتها، كل هذا وأكثر منعدم.

جاء اليوم الموالي للعلاج، ذهبت كالعادة لأخذها إلى المصحة. لو كانت تعرف القراءة والكتابة لتمكنت من معرفة أنها مصابة بسرطان الثدي من لافتة المصحة والشعارات والأمور المعلقة بالجدران الخاصة بالعلاج واكتشاف ومحاربة هذا المرض من قبل النساء.

ولأنني أعلم أنها لا تقرأ تشجعت على إخفاء الحقيقة عنها من أجلها، ولكي لا تنهار أكثر.

قبل دخولها هذه المرة إلى غرفة العلاج طلبت مني الانصراف لتحكي لي حكايتها، فلها رغبة في ذلك. أقنعتها بصعوبة بالدخول للعلاج أولًا، بعدها الجلوس طويلًا وقول ما يجول بخاطرها وبداخلها بلا تأجيل أو تأخير.

سمعت كلامي بحب، خرجنا متجهين إلى مكاني المفضل، هناك كنت أنا وهي والسماء والأشجار والأزهار والمياه والوديان. المنظر المريح في خدمتنا وتحت تصرفنا، هناك كانت مريم مستعدة كل الاستعداد للبدء من الصفر وإخراج كل الذي حدث معها الواحد تلو الآخر دون نقصان.

من أين أبدأ؟ من ذلك اليوم أو من هذا السطر؟ أو من هذه الصفحة الأولى التي أبدأ منها وكل شيء عليها يتغير؟

أنا البنت السابعة، لدي ست أخوات إناث وخمسة ذكور. تزوج الجميع، بقيت أنا وأختي المصابة بمتلازمة داون، هي تصغرني بسنتين. أنا وهي حاليًا معًا في ذلك المنزل الذي يسكنه الحزن والمشاكل بلا سبب وبلا داعي.

أبي هو صانع كل تلك الصراعات والنزاعات والخلافات والشجار معي ومع أختي التي لا تعي شيئًا سوى أنها تبتسم وتبكي. في أغلب الوقت هي عند عمي مع أبنائه وزوجته، لأن أبي لا يتوقف عن تعنيفها والقسوة عليها.

أتذكر عندما كنت طفلة كان كل شيء جميلًا، لأن أمي واقفة على قدميها توقف أبي عند حده، وحتى أن أبي لم يكن بهذه القسوة وهذا الجمود في المشاعر والأحاسيس اتجاهي واتجاه أختي المسكينة البريئة.

كنا لا نرى أبي كثيرًا، هو أغلب سنين طفولتي وشبابي قضاها في فرنسا فهو كان يعمل هناك، ولا أعلم ماذا كان يعمل. يزورنا مرة في السنتين أو أكثر.

نشعر بغيابه، لكن أمي كانت دائمًا تلعب الدورين بإتقان، فلا نطلب حضوره وبقاءه، وإخوتي الأكبر مني يفرحون عند غيابه لأنه حاد الطباع وسيء اللسان والتعامل.

وأنا صغيرة لم تصلني ولم تلمسني لا يده الشديدة في الضرب ولا لسانه المسموم في الكلام ولا أي شيء مما كانت تخاف منه أمي وإخوتي.

الذي يصدر من أبي فيه القليل جدًا من الحنان. نعم كان أبي بعيدًا لكن إخوتي الذكور الأكبر مني وحتى الأصغر مني سنًا يمارسون ما كان يمارسه أبي في حضوره وتواجده، فقد تعلموا منه القسوة في الحركة والكلام وفي كل شيء.

لم أستطع الاستمرار في الذهاب إلى المدرسة، وحتى عندما كنت في المدرسة، كنت أرسب كل سنة فليس لدي وقت للمذاكرة والمطالعة في البيت، فإخوتي لا يسمحون لي وأمي تفضل تواجدي في المطبخ، على عكس الأمهات الأميات اللواتي يشجعن أبنائهن على طلب العلم والوصول إلى أعلى القمم، فيحققون ما أردن تحقيقه ولكن الظروف والمحيط المتواجدين به كان أقوى وأقوى فأصبحن أميات جاهلات راغبات في طلب العلم والتعلم عن طريق أولادهن وبالأخص البنات.

لم تكن أمي تفضل التعليم وإنما الزواج، لم أحزن كثيرًا على تركي للمدرسة، فجميع الإخوة والأخوات خرجن منها مبكرًا جدًا.

بدأت أفكر في الزواج في سن مبكر جدًا، فهذا ما عرفته بأنه لا تعليم ولا شيء آخر سوى الزواج للمرأة. هذا هو محيطي وعالمي أخبرني بذلك، وأنا صدقت، حتى ظننت أن الزواج هو الشيء الرائع الذي ليس له مثيل في الحياة، فيه السعادة والسرور والفرح، فيه الاستمتاع وتحقيق الأهداف والرغبات.

كنت أحلم بزوج هو رجل لم يخلق بعد إلى الآن، أراه في منامي وفي أحلامي مختلفًا ليس هناك شبيه بينه وبين لا أبي ولا إخوتي ولا من أعرفهم وتعرفت معهم بهذه الحياة الغامضة المظلمة المحيرة.

بدأت أعتقد أن الحياة سهلة جدًا وممكنة ولي القدرة على عيشها كما أريد لا غير ما أريد، مع أن الذي أعيشه ليس اختياري ولا رغبتي وبالأحرى لم أكن أعرف ما الذي أريده وأرغب به وأسعى إليه.

أعجبت بما قالته لي أمي عن الزواج مع أنها هي تعيسة بزواجها من أبي، كنت أقول لن أتزوج رجلًا مثل أبي ما دامت أمي الزوجة التعيسة الحزينة.

لم أشاهد الحب المتبادل بين أبي وأمي، تزوجت أختي الكبيرة، لحقت بها الثانية، الثالثة، والأصغر مني، وحتى بقيت أنا وأختي الجميلة التي لا تعرف الزواج ولا الزواج يفكر بالقدوم إليها. فقد خلقت لتبقى عزباء وهي دومًا تقول وتطلب ارتداء الثوب الأبيض، وعدتها أن فستاني سترتديه هي الأولى وألتقط لها صورًا جميلة كثيرة تعلقها في غرفتها.

تزوج إخوتي الذكور جميعًا وحتى الأصغر مني، وفرحت بزواج الجميع من الجنسين، وأنا من كنت أقوم بكل لوازم الزفاف من البداية حتى النهاية، فدخولي المطبخ كان مبكرًا وبقائي في البيت طيلة هذه السنوات الطويلة جعل مني ربة بيت ممتازة وخبيرة وصاحبة كفاءة وإتقان عالي المستوى.

طال انتظاري، موعد زفافي الذي جهزت له منذ سنين، تعلمت الخياطة وبيدي المبدعة المبتكرة صنعت جهاز العروس الرائع.

استمريت في خياطة الكثير من الفساتين والأقمشة الخاصة بالفراش، فراش العروسة وأمور أخرى عديدة طيلة العام بلا انقطاع.

حضر أبي زفاف أبنائه وبناته جميعهم، بعدها استقر هنا بشكل نهائي، عمله انتهى في فرنسا، وهو الآن يتقاضى راتبًا جيدًا كل شهر.

طوال اليوم والوقت أبي في البيت، يغادر إلا للضرورة، كنت أنزعج كثيرًا لبقائه في البيت وحتى أمي كانت تطلب منه باستمرار الخروج لكنه يخرج لوقت قصير جدًا ويعود إلى المنزل. ومن هنا قدم الأسوأ إلينا والحزن فضل البقاء عندنا، وأشياء كثيرة محزنة وسيئة حدثت وكانت من طرف أبي.

عاد إلى ضرب أمي من جديد، أمي مرضت وتعرضت لأزمة قلبية من خلالها أصيبت بشلل نصفي، لم تعد تقوى ولا تتمكن من النهوض ثانية، أصبحت عينيها وأعتني بها كما يلزم.

قمت بدور البنت الجيدة المطيعة كما يجب كذلك مع أمي وأبي والجميع. مرض أمي جعل أبي يزيد في قسوته وعنفه ولا ينقص. أصبحت أنا وأختي الضحيتان اللتان تتلقيان كل ما هو بشع من الأب.

طلب أبي الزواج، جميع اللواتي طلبهن للزواج رفضن بسببي وسبب أختي لأننا لازلنا في البيت، والعروس الجديدة لن تجد الاستقرار الخاص الذاتي ونحن معها. فعدم تمكن أبي وعدم توفقه في الزواج جعله يتهمني أنني قمت بسحره لأمنعه من الزواج.

وبدأ يحكي للقريب والغريب عن أمر السحر الذي ليس لي يد فيه، وكيف لي أن أؤذي أبي رغم أذيته لي المستمرة؟

ظنه الخاطئ أنني أنا من أعطل مشروع زواجه جعله يتحول أكثر من الأول ويصبح أكثر سوءًا.

مرة من المرات ضرب أختي التي لا حول لها ولا قوة، كادت تموت على يده لولا أنني وصلت إلى الغرفة في الوقت المناسب بعدما سمعت صراخها، وجاء عمي الذي اصطحبها عنده وإلى الآن هي عنده تأتي إلى المنزل في أوقات غياب أبي لرؤيتي ورؤية أمي التي لا تعي ما الذي يحدث من حولها سوى أنها تبكي وتتألم لكل ما يحدث.

اشتقت إلى ضحكة أختي البريئة التي تطمئنني أن الحياة لا تزال بخير، وأن القادم مختلف.

كنت أزداد صبرًا بفضلها وبوجودها معي والآن هي عند عمي ولن أسمح لها بالعودة مهما يكن، فهي إلى الآن لا تزال تعاني من الكسور التي تعرضت لها من عصا أبي الصلبة القوية الشديدة.

توقف الإخوة والأخوات عن زيارة أمي والمجيء إلى المنزل بسبب أبي. وقد أخبرهم أنني أحرضه ليكرههم، فكرهوني كذبًا. أبي شوهني لدى الجميع، جعل مني شريرة ولست من البشر، وأنا كلي طيبة وحب للغير.

مرات تطلب أمي مني أن أدعو لها بالموت فأمتنع لأن وجودها وبقائها على قيد الحياة هو من جعل حالي هذا الصعب لم يصل بعد إلى الصعب الذي فوق الصعب بكثير.

لا أعرف كيف هو النوم ولا طعمه منذ فترة طويلة، لم أنم بهدوء وطمأنينة. طوال الليل أبقى أراقب الباب والنافذة لكي لا يقتلني أبي فيصبح مجرمًا وتبقى أمي لوحدها لا من أجلي. فأنا ليس لي حياة ولا أعرف كيف هي الحياة وكيف يتم عيشها.

فعل أبي الكثير، فهو ضدي دومًا ويعتبرني عدوته، كله بسبب الظنون والشكوك التي تراوده، فجعلته يقسو أكثر على أحبته، والحال وهذا الحال وحالي الذي لا عنوان له مستمر إلى الآن مادام أبي على قيد الحياة.

أبي يتمنى أن أتزوج، وأنا لم أتزوج لأن جميع الرجال مثل أبي، وأبي قد جعلني أكره الزواج وكل الرجال. من يرضى بي وأنا بهذا السن سوى الذي سنه من سن أبي، ذلك العجوز الذي لا أطيقه، وسأتمكن من قتله والتخلص منه بسرعة لأنه الغريب.

بداخلي كبت قد يؤدي بأفعالي إلى كوارث.

لن أتزوج ولن يتزوج بي أحد، فسمعتي أمام الجميع ليست جيدة، وأنني ساحرة لدى الكبير والصغير. والفضل لأبي الذي جعلني في نظر الجميع بهذه الصورة المعاكسة لصورتي الحقيقية التي بقيت فقط أراها بنفسي كل وقت.

لن أتزوج فقد كرهت الرجال وأولهم أبي، فأبي جعل مني عانسًا، جعلني أكره الزواج والرجال جميعًا. فكيف أتزوج؟ فلن أتزوج وسأبقى هكذا إلى أن أفارق الحياة، إما على يد أبي وعصاه أو من كثرة الحزن على الذي أعيشه.

أشعر بأنني ميتة، سوى في الموت الذي أتلقى فيه ضربات من عصا أبي. أحس بألم فأتأكد في تلك اللحظة أنني على قيد الحياة نسبيًا أعيش وأشعر بالألم والوجع، وأنطق الآهات والتوسلات.

لا أريد أن أتعالج فحتى العلاج لن يجدي نفعًا، فأنا أتعالج في الصباح وأمرض بالمساء بعد عودتي لعالمي المظلم القاسي.

ما أصعب أن تتألم ولا تتكلم. ألمي وردة أسقيها، سقيتها بالأمل والتفاؤل بالأمس البعيد، واليوم هي ذبلت.

يقولون عني أعاند وعنيدة. إنني لا أريد شيئًا لا منهم ولا من هذه الحياة، فأنا العناد ذاته، وإن عاندت أعاند في موطن اللا عناد، فيأخذ مني العناد الكثير وقد أخذ.

عند فوات الأوان نستيقظ ونجتهد، والأوان فات في ذلك اليوم الذي ورائنا الآن. فلما نسعى والفرص اختفت وانفضت وانتهت؟

لا أذكر أن الفرصة طرقت بابي لأتكبر عند الرد عليها بأنني لست بحاجة إليها.

احتجتها ولم تأتِ، وإن جاءت اليوم أو غدًا لن أفتح لها بابي، ولما أفتح لها بعد فوات الأوان؟

وجعي ارتديت له جميع الألوان ولم يختفِ ولا يزال ظاهرًا بظهوري. فإن أوجاع الكثير تظهر مع ظهورهم الذي يحاولون من خلاله إخفاء الكثير.

لم أكن سببًا في ولادة وجع قد أصاب أحدهم فيطول به الخضوع للعلاج، كما طال العلاج لدي، وليس لدي علاج، والعلاج من البداية في الكلمة الطيبة والتعامل الحسن.

أنا قوية الصبر، صبورة بالقدر الكبير فقد تعودت على الصبر الذي أهرب إليه دومًا وأختبئ عنده بين الحين والآخر.

مسؤولياتي والتزاماتي شاقة، ليست بالسهلة وتحتاج إلى جهد وعمل مستمر، إلى صبر في نفس الوقت.

الذين لا يقدرون جهد وعمل وكفاح وتضحية ومقاومة ومثابرة مريم هم منها وهم كثيرون قريبون إليها وهم بعيدون عنها غرباء، حتى هناك من يرى بعينه جهوداتي واجتهاداتي، وينفي ويدعي عكس ما شاهده.

هذا تقليل واضح وصريح من أعمالي وإنجازاتي التي لم أعد أرى لها أثر ومفعول على مريم.

رغم ما أتعرض له من الإهمال والتقصير، من الاضطهاد والتهميش والذل والإهانة، فأنا جد صبورة وصبري هذا جعل مني سيدة بالأمس واليوم وملكة غدًا، ملكة مع نفسي الراضية عنها كل الرضا.

إنني أصبر على أشياء لا صبر فيها فأتخذ القرار السريع الصارم الحاسم الذي يضربني ويقويهم من حولي.

أي صبر على الضرب والعنف؟ أي صبر على الإهانة والإساءة؟ أي صبر على التسلط والاستبداد؟

أي صبر على الجنون وجنون الآخرين وجبروتهم؟ أي صبر على ظالم يزداد ظلمه؟

أي صبر على بشر وأناس وأشخاص يتلذذون ويشتهون دموعي؟ هنا لا صبر على كل هذا، وكل هذا والدليل أن الرجل لو تعرض لربع أو جزء قليل جدًا من هذا لواجه وقاوم وحارب ودمر الجميع.

إنني أصبر على الذي لا صبر فيه لأنه أبي، أبي الذي كتفني وألزمني على السكوت والصبر على كل شيء، لأنه أبي، أبي للأسف.

أنا معروفة بالصبر، وصبري لا خلاف عليه، أنا المصدر الأساسي للصبر، أنا قلب الصبر. إلا أن الصبر الكثير يضعف صاحبه، قد أضعفني صبري حتى أصبحت لا أشعر بأية قوة بداخلي، أضعفني وأدخلني العالم المظلم الذي لا أستطيع الخروج منه، فقد سقطت السقوط الذي ليس له نهوض.

صبرت في مواضع وعلى أشياء وأمور لا صبر فيها.

كان يجب علي أن أختار وأكون جدًا حكيمة وعاقلة، فأعرف على ماذا أصبر وعلى ماذا لا أصبر، حتى وإن كان الفاعل أبي وهو أبي.

صبري الكبير العظيم على كل شيء خطأ والخطأ هذا خطئي، فلا صبر على كل شيء ومعظم الأشياء، إلا أن الصبر في بعض الأشياء هو الحل وهذا ما كنت أقنع نفسي به.

ظننت أن الحل في الصبر ولا داعي للصبر على الذي فيه الحل والطرق والوسائل والأدوات التي تخفي الصبر ولا تجرنا إليه، وإنما تكلف عقلي للعمل الفوري.

قصتي مع الصبر طويلة، صبري كالجبل المكتظ من الداخل، الذي تم تجميع الكثير ووضع الحجرة فوق الحجرة ومعها حفنة الرمل فوق الحفنة الأولى إلى أن صار هناك جبل بالفعل لا يقوى بشر على حمله، ولا على تسلقه والوصول إلى رأس قمته.

جبل يحتاج إلى طائرة من الطراز والصنع الجيد ليصل في بعض ساعات أو دقائق طويلة حسب المسافة والبعد المتواجد.

صبري جبل كان بإمكاني هدم الكثير منه بقرار وبجرأة مني، وبمعرفة ويقين أن الصبر الكثير هذا ليس الحل، ليس ذلك الواجب والالتزام المفروض، ليس بالشيء العظيم ولا هو بالتضحية، إنما هو بتحميلي وتحميل نفسي فوق طاقتها وبما لا تطيق ولا تتحمل ولا تصبر، لكنه أبي، لأنه أبي جعلت من الصبر اللا صبر وإنما الانتحار البطيء.

صبري ليس له إيجابيات كما له سلبيات معروفة وواضحة ومنها الوصول للمراد وتحقيق الهدف.

صبري مهدئ للأعصاب عند المشاكل والمصائب اليومية، صبري الحفاظ على السلم والأمان الذي لا وجود له.

صبري تجنب الوقوع في الكوارث والصعاب فوقعت وبقلب تلك الكوارث والصعاب أنا أسيرة وضحية وقد تم السيطرة والاستحواذ علي.

صبري خلاص ونجاة ليس لي وإنما لمن حولي، فلولا صبري لكنت أحرقت كل من وقف أمامي ونظر إلي النظرة الجارحة.

فكرت بمن حولي ونسيت نفسي فنسوني بنسياني. قلت لمريم متى صبركِ يكون الخير والجيد والأفضل، فكان الظلام الذي اختلط مع نور الصبر.

أنني استعملت الصبر الاستعمال الخاطئ، من صبري كان جحيمًا حقيقيًا ونار تحرق بلا نهاية، ولحم جسدي يتجدد مع لجوئي الدائم للصبر.

صبري الكثير المتواصل الغير منقطع أدى إلى انهيار بنيتي الداخلية والخارجية.

صبري قضى علي بسرعة وأوقعني في الذي تجنبته، صبري سلاحي كما هو دماري.

وجب علي أن أكون جيدة وعاقلة في متى أصبر ومتى لا أصبر لكي لا أكون ضحية الصبر، والآن أنا ضحية أبي والجميع.

سمعتها، سمعت مريم، فعلمت أننا أحياء بلا حياة، كلنا نسعى بأن نعيش الحياة التي نرغب ونريد، وقد يكون سعينا الطويل المرهق الذي شهد الكثير من التحديات والصعوبات والتنازلات.

لم يؤدي الغرض واللازم ولم يصل للشرط والشروط التي لابد أن تتوصل إليها حواء لتكون حياتها تلك الحياة التي حلمت بها ولا تزال تحلم بها.

الذي يجعل حياتنا صعبة، ونصل لدرجة أننا لا نتحملها وننفر منها، وطوال الوقت نخطط للهروب منها، هو أننا نحن من أوصلنا أنفسنا إلى هذه الحياة.

نحن لنا يد وسبب في ذلك، عدم رضانا بما عندنا وما نملك، انعدام القناعة عندنا التي جعلت منا ننظر إلى ما عند غيرنا.

أما نحن، أنا ومن معي فنكتفي بالتمني الذي هو يحتاج إلى اجتهاد وعمل متواصل بلا انقطاع.

كما أن هناك حياة ينعدم فيها الجميل والخير والجيد الذي لا يحتاج إلى مال وإنما إلى أخلاق ومبادئ ودين وإيمان، فهنا الحياة بشعة بكل ما فيها، بالشر والقبح، بالشيء السيء القبيح الذي بالفعل الإنسان الجيد الصالح لن يعيشها، والأب الذي جعل منا عوانس ألزمنا على عيش هذه الحياة.

الحياة لا يقوى الكثير على عيشها، إما تجبرنا الحياة أو الفقر أو المكان الفاقد للكثير المتواجدين فيه وعديد الأسباب والأمور التي أدت إلى حياة لا تعاش.

فهيا ننهض يا مريم ونطلب من الحياة والعمر والوقت أن ينتظرنا لنأخذ منه ما تركناه بالأمس، لنسترجعه فنعوض أنفسنا بالذي راح.

هيا ننهض ونكمل العلاج لنعود للحياة.

سمعتني مريم واقتنعت بكلامي وتعاهدنا على المضي والاستمرار بشكل مغاير، وعدتني بالاستمرار في العلاج. نقلتها إلى بيتها، بقيت أرافقها في أيام الذهاب لتلقي العلاج.

لا يزال والدها يزعجها، جاء عيد ميلادها الذي فضلنا أنا والأخريات الاحتفال به. قدمت أسماء ونور القمر وإسراء ومحبة الرحمن وأنا ومريم، جميعًا خرجنا ولعبنا وضحكنا ورقصنا في مكان لا وجود لرجل ولا إنسان ولا بشر فيه، سوى نحن الستة العانسات.

كنت أحيانًا أغيب عن الحضور مع مريم في جلسة العلاج، فكانت إسراء ترافقها.

لا أنسى ذلك اليوم الذي تعبت فيه ولزمت الفراش لأسبوع، فهن اللواتي معي لم يفارقنني. شعرت وتأكدت أنني لست وحيدة، أنني محظوظة لأن لدي أخوات وصديقات رائعات، قصصنا متشابهة، أحلامنا واحدة، رغبتنا واحدة لا ثانية لها.

أهدوني الحب، الدفء، الحنان. كم هن جميلات القلب والروح، جميلات المشاعر والأحاسيس، النوايا والظنون الحسنة.

جميعنا نسعى لإسعاد بعضنا البعض، محبات للعطاء، متمسكات، فالوريد واحد والشريان اثنان من واحد.

نحن الضعيفات بأعين الكثير، لم يكن بالصعب علينا أن نريهم تحدي الضعفاء.

يظنون أن الضعيف ليس بحوزته القوة والاستطاعة والقدرة التي بها يتحدى ويعيش تحدي الشجعان الأقوياء القادرين المتمكنين. تقريبًا جميعنا نتفق على ذلك.

تحدينا نحن الضعيفات بضعفنا، فالذي يحاربنا هو منا ونحن من صلبه، أنه أبانا من وقف في وجهنا. فسقطنا طاعة وعدم رد عليه، فكنا ضعيفات إلا أن لدى الضعيف شيء مخزن مكبوت، لو اجتهد على دفعه للظهور لكانت المعجزة واختفى العجز وقمنا، وقام الضعيف يتحدى نفسه، فتحدينا أنفسنا والجميع عن جدارة واستحقاق، وبشهادة شهود الجميع.

لكننا لم ننهض وتحت قدميه بقينا نحاول بالطاعة واللطف واللين. تجاوزناه بالاحترام والأدب لكن فشلنا.

المحيط المتواجدين فيه أضعفنا فوق الضعف الموجود. نظرات واستحقار واستهتار واستهزاء، وسخرية وتصرفات وسلوكيات وكلام وألفاظ الكثير موجهة لنا نحن الضعيفات.

عوض أن يساندونا ويتخذونا مصدر قوة ونهوض وتغيير وإثبات، وتبيان العكس كان السقوط وكبر الضعف، وثبت وبقي بالأدلة والبراهين الظاهرة أمامهم.

لنا أن نكون غير ضعيفات وغير قويات، لكن لنا أن نكون متحديات نتخلص من ضعفنا ونرميه ونحن بطريق الاستقرار في المكان الذي لا يليق بنا كمتحديات.

تحدي الضعيفة يحتاج إلى محاولات عدة لتنهض النفس بنفسها وتواجه ضعفها وتتحداه وتخلق من ذلك الضعف القوة والشجاعة والإرادة التي تصنع المستحيل والمعجزات.

علينا أن نختار التحدي الذي به أصل وتصل مريم والبقية لأبعد الحدود، ويغير منا التغيير الذي طالما أردناه، وأراده الجميع.

متى تحدت الضعيفة نهضت، ومتى الضعيفة تحداها أحد، نهضت لتواجه وتصارع بحلبتها هي أولًا.

بدأنا ننهض ونقول ها نحن، ها نحن واقفات رغمًا عنكم. فلا تحاولوا إيقافنا فلن نسمح بذلك هذه المرة، يدي ويدها ويدها، ويدها متكاتفتان. معًا نتحدى لنرحل بعيدًا عن ذلك الحزن الذي لم نجلبه، وعن تلك الحياة التي جعلت منا أحياء بلا حياة، وأحياء أموات.

عدنا إلى الحزن قليلًا، فوالدة مريم قد توفيت، لم تحزن مريم كثيرًا على وفاة والدتها، بل قالت إن والدتها ارتاحت من مرضها ومن أبيها ومن المعاناة.

موت والدة مريم جعل منها شخصًا مختلفًا عما كانت عليه بالأمس، فهي اليوم متمسكة بالحياة، ومن المشكلة وجدنا الحل.

المشكلة التي نبحث لها عن حل نجد الحل منبعثًا منها، ولك أن تستخرجه من بين عروقها وخيوطها المتشعبة.

مريم بدأت تدقق في مشاكلها لإيجاد بدل الحل، حلول كثيرة تعالج المشاكل والمشكلات بشكل جذري وكامل.

لم تبقى مريم التي كانت راضية بكل شيء، الآن بدأت تسعى للحياة وتجتهد من أجل تحسين أوضاعها وتغيير حياتها للأفضل. لم تعد تخاف من مواجهة الصعوبات، بل أصبحت تبحث عن الطرق والوسائل للخروج من الوضع الذي كانت تعيشه.

مريم أصبحت أكثر قوة وإصرارًا على تحقيق النجاح والتغيير، وقدمت لنا جميعًا مثالًا حيًا على كيف يمكن للصبر والتحمل أن يغير من حياتنا ويجعلنا نحقق ما نطمح إليه.

مريم اليوم هي مثال للقوة والعزيمة، وقد أثبتت أن الإنسان يمكنه التغلب على الصعوبات والتحديات مهما كانت كبيرة عندما يكون لديه الإرادة القوية والعزيمة الصلبة.

رحلت التي كانت تلزم مريم على تحمل الكثير والتصدي لكل شيء لكي لا يصل للراحلة اليوم.

نصحت مريم أن تزوج والدها، وهي من تبحث له عن زوجة تناسبه ليتأكد من أنك عكس ما يظن ويحسب، فتتبدل معاملته وتعامله القاسي من حولكِ نهائيًا.

بالفعل، بحثنا جميعًا عن زوجة وتزوج والد مريم، فاخترنا المرأة الصالحة التي لن تدخل في عداوة وشجار مع مريم وأختها. عادت أخت مريم إلى المنزل بعد مكوثها لفترة طويلة عند عمها هروبًا من والدها.

حتى والد مريم تغيرت معاملته مع بناته، وبالأخص مريم، وبدأ يسود المنزل السكينة والهدوء والطمأنينة. فقد وجدنا الحل الذي يناسب المشكلة التي منها جاء الحل، فهما الشيء الواحد في شيئان، والشئيان في شيء واحد. فلا تبتعد كثيرًا وأنت تنبش وتبحث عن حل لمشكلاتك العالقة، فمن تلك المشكلة الحل موجود، سوى أنه يحتاج إلى تركيز وانتباه شديد منا ليكون الحل بين أيدينا وفي خدمتنا.

ننتبه ونعود إلى المشكلة الأصلية لنجد الحل المعالج الشافي الكي لمشكلتنا.

اطمأنيت على مريم وحالها ووضعها داخل منزلهم، بقي اطمئناني الأساسي على صحتها، فقد طلب الدكتور إجراء عملية استئصال الثدي في أسرع وقت ممكن.

سقط شعرها وأصبحت بلا شعر، تأثرت جدًا وعلمت أنها مصابة بالسرطان. تعبت نفسيتها وخفت أن تعود إلى نفس المأساة السابقة بشكل مخالف ومغاير.

خططنا واتفقنا وقمت أنا وإسراء وأسماء ونور القمر والمحامية بحلق رؤوسنا وإزالة شعر الرأس كله، ووقفنا أمام مريم بالمستشفى شبيهات بالرجال، فاقدات للشعر الأسود والأصفر والبني الممزوج بالشيب والقصير والطويل. كله لنكون شبيهات حتى بالشكل بلا شعر.

شاركنا مريم حزنها على شعرها الذي سقط نتيجة العلاج الإشعاعي القوي الفعال. لم تحزن ولم تستاء أي واحدة فينا، بالعكس، فرحنا وتخلصنا من شعرنا بكل حب وثقة واستعداد كامل.

أنا من حلقت لأسماء وإسراء ونور القمر وللمحامية، واحدة تلو الأخرى.

طلبن مني خلع الطرحة ليقمن بنفس عملية الحلاقة، رفضت وادعيت أنني حلقت شعري بالفعل وأنا بالفعل شعر رأسي غير موجود.

دخلت مريم غرفة العمليات، وخرجت منها معافاة وعلى قيد الحياة. عادت إلى الحياة من جديد واستمرينا في استكمال علاجها الذي بقي عليه القليل. الحمد لله، مريم تتعافى بسرعة ولم يبقَ للسرطان سوى القليل جدًا للمغادرة كليًا.

بدأت الأفراح تتهاطل والجديد عند هذه وذات في الوقت هذا والذي بعده مباشرة.

الأخبار السعيدة تتوالى وأنا سعيدة بكل واحدة منهن، ولما وصلنا إليه.

رغم كل الحقائق المحيطة بنا والواضحة أمامنا والمتغلبة المسيطرة على واقعنا ومعيشتنا، إلا أننا بعض الأحيان نهرب باحثين عما يعطينا قطرة أمل بها نحيي تلك الأحلام ونقف مجددًا كما أردنا ووجب علينا.

فالواقع في بعض زواياه وجوانبه مؤلم مع أننا قد لا نكون سببًا في إيصاله إلى تلك الصورة التي لم نرسمها ولم نلتقطها لتعلق على حائط الغرفة ليلًا صباحًا مساءً نراها، ومجبرين على رؤيتها والتعايش معها بكل تفاصيلها. فهذا قد جلبته الظروف المفاجئة أو الظروف الصعبة التي لم تكن للأيادي الشخصية يدًا فيها.

مهما هربنا من واقعنا ومن تلك الحقائق، للأسف، هي تلاحقنا ولا تود التوقف عن اللحاق بنا والجري وراء الخطوات التي بالفعل خفت سرعتها وقوتها. فطول شريط الجري نحو الذي لا نعرف حتى أين إقامته ومسكنه قد مزق أحذية وشقق أرجل قد سعت وبحثت وسافرت نحو الأفضل الذي إما رفضها أو لم يحن بعد موعد اللقاء بينهما.

انضمت نور القمر كمتطوعة في إحدى الجمعيات، وتقيم في نفس الوقت في مكان العمل. فقد تركت بيت السيدة التي كانت تقيم عندها.

وفي العمل تعرفت على أحد المتطوعين معها، طبيب عام. نور القمر سعيدة جدًا بهذه العلاقة ومتحمسة لها كثيرًا، وهناك مشروع زواج في القريب العاجل.

كان التعارف والتجهيز للزواج جد سريع. كلمتني نور القمر في يوم لقائنا الأسبوعي الذي هو يوم الجمعة، واعتذرت عن القدوم لأنها ستخرج مع خطيبها الطبيب الذي كنت قد التقيت به وطلب مني قبولي لخطبته لنور القمر بحكم أنني أختها التي تكبرها، وأنا أحل محل أهلها كما تعتبرني هي.

تمت الخطبة بحضور زملاء وأصدقاء الطبيب دون أهله المتواجدين خارج الوطن، ونحن صديقاتها وأخواتها.

كنت أنزعج من لقاءات نور القمر وخطيبها بشكل مستمر، امتنعت عن إخبارها وبالأخص عندما رأيتها سعيدة ودومًا تبتسم، ومع كل لقاء هي في قمة سرورها.

لم أرد إدخال الشك في قلبها وعقلها أو التدخل ومنعها من رؤية ومقابلة مصدر سعادتها، وفي المقابل كنت دومًا منتبهة وأتابعها بلا توقف أو نسيان أو انقطاع. كنت أخاف عليها ولم أقتنع لحد الساعة كيف لطبيب يتنازل ويرتبط بنور القمر.

نعم، هي جميلة جدًا، غير أن هؤلاء المثقفين والمتعلمين بامتياز يفضلون أمثالهم أصحاب العلم والشهادات.

طلبت منها راجية بأن تنتبه لنفسها وترسل لي رسالة بمجرد وصولها والتقائها بخطيبها الطبيب.

أرسلت لي رسالة زادتني قلقًا وخوفًا عليها، عندما قالت فيها "وصلت وخطيبي معي". بعدها أرسلت رسالة ثانية بعد مرور نصف ساعة تخبرني بأن لا أغيب وأبقى كل دقيقة أكلمها وأطمئن عليها فهي لا تشعر بالارتياح ولا الاطمئنان.

في الحال اتصلت بها، لكنها قطعت الاتصال وأرسلت لي رسالة ثالثة تقول "هو بجانبي وشخص ثالث معنا لا أعرفه، ونحن بالسيارة متجهين لا أدري إلى أين بعد، وهما يتحدثان ولا أريد قطع حديثهما بالرد عليك".

أرسلت لها رسالة طلبت فيها، بالأحرى أمرتها في الحال أن ترسل لي موقعها لأتتبعها.

بقيت طوال اليوم مركزة مع الهاتف. فجأة، نقطة الموقع في مكان واحد وهو طريق صحراوي خالٍ من السكان والمباني والمارة.

حاولت الاتصال بها إلا أن هاتفها مغلق. لم أخبر الأخريات، وانصرفت بحجة أن هناك أمرًا طارئًا وفيما بعد سأخبرهم، والآن أنا في عجلة من أمري.

غادرت وخوفي على نور القمر قد سيطر علي بشكل كامل وكلي. ركبت سيارتي وأنا أقود بسرعة كبيرة، وطوال الطريق اتصل على نور القمر ولا ترد. اتصلت بخطيبها الذي رد على الهاتف، سألته أين نور القمر، التزمت الهدوء وتظاهرت بأنني لا أعلم بشيء، وحتى عن لقائهما اليوم.

تفاجأت بأن خطيبها أنكر لقائهما وقال إنه لم يرها اليوم وأنه يتصل بها ولا ترد. هنا تأكدت أن خطيبها الطبيب يرتب لشيء، ما هو؟ يجب عليّ اكتشافه.

وصلت إلى الموقع والمكان الذي به آخر تحديد من قبل تطبيق الموقع الذي تم مشاركته بيني وبين نور القمر لمعرفة مكانها. المكان مهجور خالٍ لا يوجد به أحد.

مشيت بالسيارة قليلًا وأنا أنظر يمينًا ويسارًا وبجميع الاتجاهات، بتركيز كبير وانتباه شديد، لمحت من بعيد مبنى كبير ولكنه قديم.

هـذا المبنـى فقـط لا غيـر المتواجـد في هـذه المنطقـة المعزولـة بالكامل.

مباشرة بدر إلى ذهني أن نور القمر قد تكون هناك، فقلت أجرب أن أتقدم نحو المبنى الذي هو عبارة عن مصنع قديم لا أحد به.

مشيت كثيرًا لكنني كنت أمشي ببطء شديد لكي لا ألفت انتباه أحد، دخلت ما بين الأشجار وفضلت السير على طريق الأشجار للأمان.

وأنا أسير مرت من أمامي سيارة الطبيب لكن بها شخص آخر غيره، ولا وجود لنور القمر. تأكدت أن غاليتي بهذا المكان.

لم يرني الذي بالسيارة لأنني اختبأت خلف الأشجار الطويلة العريضة الضخمة الكثيفة. ابتعدت عن التفكير في الشيء السيء وأقنعت نفسي قبل وصولي إلى المكان بأنهما قد جاءا للاستجمام. لكن إنكار الطبيب أن نور القمر معه جعلني أفكر بأن نور القمر في خطر وتحتاج إلى مساعدة سريعة.

سرعت من خطواتي، وصلت وابتعدت عن المدخل الرئيسي للمصنع ولهذا المكان المخيف، اتجهت نحو النوافذ الكبيرة العالية الموجودة. وجدت برميلًا مرميًا، استعنت به وصعدت بصعوبة، حاولت عدة مرات وتمكنت في الأخير من الصعود.

وها أنا فوق البرميل، شاهدت المكان كبيرًا جدًا به أسرّة كثيرة في حدود عشرين سريرًا، ومعدات طبية وحتى آثار الدماء على السرير والأفرشة المرمية في زاوية على الأرض.

لم أرَ نور القمر، بقيت بعض الوقت أشاهد بسرية تامة، رأيت الطبيب يحمل نور القمر المغمى عليها، الفاقدة للوعي كليًا.

وضعها على السرير وكأنه سرير إجراء العمليات، بسرعة اتصلت بالمحامية وأخبرتها أن نور القمر في خطر.

اتصلت بزميلي الضابط في الشرطة وهو صديق قديم، وأرسلت إليه الموقع.

وأنا أحاول النزول وقعت فأصدر البرميل صوت ضربة قوية، من خلالها وجدت نفسي بالداخل كرهينة ومخطوفة من قبلهم.

دخلت في مواجهة مباشرة مع الطبيب الذي بدأت في شتمه وطرح وتوجيه عدة أسئلة إليه. أمر الشخص الذي معه، الذي يرتدي لباس الطبيب وقت إجرائه للعملية للمريض، ربطوني ووضعوني في زاوية بعيدة عن نور القمر فأصبحت لا أراها.

سمعت الطبيب يتكلم في الهاتف، فهمت أنه سيبيع أعضاء نور القمر لتجار الأعضاء، ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

بالقرب مني صندوق حديدي به سكاكين ومعدات وأدوات طبية. تقدمت نحو الصندوق رويدًا رويدًا، خرج الطبيب ومن معه إلى الخارج يتحدثان ولا أدري ماذا يفعلان، ولكن كانت فرصة للإسراع.

تمكنت من فك الرباط الذي كان حول يدي، وقفت فوق رأس نور القمر أحاول جعلها تستيقظ، لكن بدون جدوى فمن الواضح أنه تم تخديرها بشكل كلي.

حضرت لي فكرة جيدة، قمت بسرعة بجمع كل المعدات الطبية والأدوات واللوازم الضرورية لإجراء عملية نزع الأعضاء، وقد لمحت وجود حفرة عميقة جدًا. عانيت كثيرًا في فتح الغطاء الحديدي الثقيل المثقوب في الوسط الذي من خلال هذا الثقب الكبير رأيت تلك الحفرة العميقة الشبيهة بالبئر الذي ليس له نهاية.

جلبت المعدات والأدوات الطبية واحدة تلو الأخرى، وضعتهم على حافة الحفرة وبدأت في رميهم معًا دفعة واحدة، تارة بيدي وتارة أخرى بواسطة قدمي.

أنهيت المهمة بإتقان وفي وقت قياسي. حملت بيدي عصا حديدية كنت قد وجدتها بهذا المكان المخيف للدفاع بها عن نفسي وعن نور القمر، وإن لزم الأمر ضربهم بها.

شعرت أنني بالمقدار الكافي لإنقاذ نور القمر ونفسي. تقدم نحوي الذي أظنه ممرضًا أو طبيبًا مساعدًا مجرمًا قاتلًا، لم أصدق فقد ضربته ضربة قوية برجله من الجانب العلوي سقط أرضًا يصرخ ويتألم، ناولته مباشرة دون تأخر أو تأجيل ضربة أخرى أقوى من الأولى على جنبه الأيمن.

تأكدت أنه لن ينهض ثانيةً. أحاول جاهدة إحداث فوضى بالمكان إلى أن تصل الشرطة.

اختفى الطبيب بهذا المكان الواسع جدًا، لن أبحث عنه سأنتظر قليلًا إلى أن أخرج أنا ونور القمر من هنا بخير وسلامة.

وأنا بجانب نور القمر أنتظر استيقاظها، تلقيت ضربة من خلفي أوقعتني أرضًا فاقدة للوعي. رأيت الطبيب واقفًا أمامي وفجأةً اتجه مسرعًا هاربًا. سمعت حركة وضجيج.

جاءت الشرطة بعدها لم أتذكر شيئًا إلى أن وجدت نفسي على سرير المستشفى نائمة مريضة جدًا.

قدم دكتوري إلى المستشفى بعد أن رأى أخبار خطفي وتعرضي لحادث من قبل المخطوفين. وسائل الإعلام جميعًا تناولت وتداولت نشر هذا الخبر الذي أصبح حديث كبار المواقع وصغارها.

فمن أنا ومن أكون لأكون محط أنظار واهتمام الجميع من أعلى المستويات؟ من أنا لأتلقى هذا العدد الكبير من باقات الورود التي غطت المستشفى وجعلتها حديقة وبستان أزهار وورود من كل الأشكال والأنواع والأحجام والألوان؟

من أنا لتتدخل حكومات وتطالب بالتحقيق الدقيق وبمعاقبة المجرم في أقرب وقت؟

من أنا ليصبح موضوع وحادثة الاختطاف والضرب قضية رأي عام دولية؟

أنا مرسال، أنا رئيسة المنظمة الدولية لحقوق المرأة في الوطن العربي وإفريقيا، أنا رئيسة اللجنة الدولية لمكافحة العنف ضد المرأة.

أنا ضابطة سابقة في القوات الدولية للإنقاذ، أنا مسؤولة دولية للعناية بقضايا المرأة، لي حصانة ومكانة دولية.

تفاجأت مريم ومن معها الأخريات من المناصب الدولية الهامة التي أتقلدها، ولولا هذه الحادثة لما كن ولما عرفت إحداهن بكل هذا.

هن عندي ليس ضحايا وطالبات للمساعدة من مسؤولة ورئيسة خاصة بشؤونهما، وإنما أنا الأخت الحقيقية التي أخفت كل هذا عنهن لا لشيء، لأكون أنا الإنسانة معهن.

انزعجت من معرفتهن بمن أكون، فهذا سيجعلهن أكيد يروننني فوق، بالأعلى بكثير، فيتغيرون وتحضر الرسمية والشكليات والفروقات في التعامل، وهذا الذي لا أريده، وابتعدت عنه طيلة هذه الفترة.

نور القمر مصدومة لما حدث لها، فهذا ما يخفيه الغرباء. فقد يظهر أمامنا ذلك الغريب بثوب الطيب الخلوق الملاك الذي لم نرَ قبله مثله، ولن نرى بعده حتى، فننبهر ونسارع إلى احتضانه والترحيب به وإدخاله عالمنا الخاص الذي هو خاص جدًا وسري جدًا لأن الثقة جاءت مع النظرة الأولى والاطمئنان الأول.

يتحول الغريب من ذلك الغريب إلى ذلك القريب والقريب جدًا وهذا ما كان يهدف إليه الغريب ولم نلاحظه نحن.

كثيرًا ما نصادف في حياتنا بعض البشر يجعلوننا نؤكد ونتأكد أن كم من غريب هو القريب وكم من قريب هو الغريب بحد ذاته.

كثيرًا ما نصل إلى استنتاج ونتيجة توضح لنا أن كم من غريب هو ذلك العدو وكم من غريب بالقرب يمثل، وكم من غريب بثوب النقاء والصفاء والبراءة يخدع.

ما يخفيه الغريب لا نكتشفه بسهولة ولكن بالتركيز والانتباه والمراقبة نتمكن من نزع الستار ولو عن بعض الخبايا والأسرار التي يحملها الغريب وهو معنا وبجوارنا وضمن عالمنا وحياتنا.

الثقة لا تمنح للجميع وحتى للبعض، ولكي يكسب الغريب ثقتنا لا بد من تمريره على الكثير من الاختبارات والامتحانات التي تبين معدنه ومن هو ومن يكون، هل يمكن الوثوق به والاطمئنان له لا بمجرد ابتسامة عريضة وكلام جميل طيب ومعاملة فيها الشك والغموض؟

لم أتجاوز الخطر بعد، لازلت في المستشفى. علم الجميع أنني مصابة بسرطان الثدي، مريم تخلصت منه للأبد وهي الآن في صحة جيدة، أنا لا أزال أعاني منه منذ أكثر من سنة.

هن حزينات على مرسال، وأنا صبورة صبر العقلاء، فليس الجميع يتحملون ثقل الصبر الذي يرهق ويتعب كثيرًا.

من كان صبره اليوم لا يكون غدًا، من كان صبره للغد لن يكون بعد غد أو الأسبوع القادم.

صبرت وأنا للصبر مقتنعة وراضية غير مجبرة، فإن صبرت إجبارًا وإلزامًا صعب عليّ الصبر، وامتنعت عن تحمله والاستمرار فيه، وبسرعة، وبأول فرصة ومن غير ما يكون الانسحاب.

ومتى انسحبت من الصبر كنت بصبر المتسرعين المجانين المتهورين الفاشلين الذين هم للصبر لا يستطيعون.

صبرت صبر العقلاء لأفوز الفوز العظيم والكبير الذي طالما انتظرته ورغبت به. وهنا صبر العقلاء في أخذ الصبر وسيلة للتخفيف عن هم وغم ومعاناة، وتقوية إرادة وإيمان.

الصبر منحني القوة التي بها أنا الآن على قيد الحياة، ولا أزال أتنفس رغم مرضي.

تواجدي بالمستشفى لم يمنع ولم يجعلنا نترك يوم عطلتنا ولقائنا واجتماعنا معًا، فالأخوات الرائعات يزورونني بالمستشفى باستمرار، ويومنا الخاص يكون مختلفًا حتى وأنا بالمستشفى.

نشاهد الأفلام، نضحك، نمرح رغم أنهن حزينات، فالحزين يضحك.

ضحك الحزين حزنًا وسعادته حزنًا ووقوفه حزنًا وما يظهر به حزنًا قد غطى عالمه الداخلي.

الحزين يضحك ليداوي حزنه، ليشفي آلامه بضحكة أمل وتفاؤل، بضحكة طموح وإصرار، بضحكة هي تحدي وعزيمة وسعي ومحاولة، بضحكة صدق وصراحة، بضحكة هي مسؤولية والتزام وواجب.

الحزين يضحك ليواجه وينهض، ليجتهد ويجاهد ويناضل ويكافح، ليدافع عن نفسه أمام حزنه بضحكة فيها المقاومة والقوة والشجاعة والحماس، فيها الحل ومعها الفرج والخلاص.

الحزين يضحك استعدادًا واستمرارًا رغم كل شيء، فالحزن لن يهزمه ولن يحطم أحلامه وينهي أهدافه ويمحو أمانيه.

الحزين يضحك ليتغلب، لينتصر على حزن لا بد أن يرحل من تلقاء نفسه متأثرًا بضحكة الحزين التي أفقدته الأمل في البقاء وألزمته على الرحيل الفوري السريع بكل هدوء.

الحزين يضحك ثباتًا وإثباتًا، اعترافًا وجيدًا وممتازًا.

الحزين يضحك من أجل البقاء، للرد "أنا موجود، أنا قادر، أنا متمكن". الحزين يضحك تفكيرًا وتدبيرًا وتركيزًا وتخطيطًا يؤدي به إلى الاستقرار والعيش بدون الحزن الذي كان سببًا قد أثر سلبًا ومنه جاءت النتائج الإيجابية المرضية المذهلة التي حولت ضحكة الحزين إلى ضحكة سعيد مرتاح.

نور القمر معظم الليالي هي تسهر من اجل خدمتي وراحتي، فهي تشعر بالذنب، وكلما تراني تبكي بلا توقف، تترجاني بأن أسامحها وهي لا ذنب لها، عاتبتها عتاب الأحباب، فقد وجب عتابها في لحظة من اللحظات.

أمضيت فترة طويلة بالمستشفى وفي الأخير غادرته، في لسان كل واحدة منهما أسئلة واستفسارات، ماهي قصتي، كيف هي حكايتي، هل أبي جعل مني عانس، من حقهن معرفة كل شيء عني كما أنا عرفت كل ما يخصهن ويتعلق بهن.

اجتمعنا في بيتي والتفوا من حولي في سريري الواسع، احتضنا بعضنا البعض، في لحظتها بدأت في الاجابة عن كل التساؤلات دفعة واحدة دون أسئلة تطرح وطرحت من طرفهن، فانني أفهمهن وأعلم ما يدور بداخلهن، فهن الجزء المهم في حياتي.

أنا ابنة أبي وامي الوحيدة، كان لدي أخ وتوفي في حادث مرور مع أبي، أبي نجى من الموت، أخي الأكبر مني توفي في الحال.

يراني أبي وتراني أمي كل شيء، لم يتمكنا من نسيان أخي الذي فارق الحياة ورحل للأبد، أبي لا يزال ضميره يؤنبه إلى الآن، أمي من حزنها الكثير على أخي توفيت بعده بشهر.

بقيت سوى أنا وأبي في هذا البيت الكبير، هناك فراغ وقت رهيب، أقسمت على أن أنجح وأصل إلى أعلى المستويات في سن مبكرة جدًا.

أعشق التصوير، كنت أسافر وإلى الآن إلى دول كثيرة مختلفة ومتنوعة، وأنا باحدى الدول بافريقيا ألقيت الضوء على المرأة الافريقية بهذا البلد، التي تعاني وتعيش في ظلام.

من هنا بدأ اهتمامي الواسع الكامل مسلط على المرأة في جميع أنحاء العالم.

اهتميت أكثر بقضايا المرأة بالوطن العربي وافريقيا، نلت جوائز كثيرة وعديدة من خلال المسابقات ومعارض التصوير التي أنشر فيها الصور التي التقطتها، إلى أن جاءت فرصة الحظ، ولكن قبلها صديق أبي أراد تزويجي بابنه الدارس المتعلم بأضخم وأشهر الجامعات بالخارج، أنا رفضت لأن هناك حلم لا بد من تحقيقه.

أبي ضغط علي وهو جد متأثر وحزين وحتى يعاني من اضطراب نفسي جراء رحيل أمي وأخ. فرض عليا الزواج وزوجني غصبًا، رغم محاولاتي المتكررة في اقناعه لكن في الأخير لم أرد معاندته أكثر وقلت مادام يريد أن يفرح بي فسألبي له طلبه وأقبل.

وقبلت بعد وفاة أمي بستة شهور، لم يكن هناك عرس، طلب مني أبي ارتداء فستان زفاف أمي وارتديته، فعلت كل هذا من اجل أبي فقط.

أبي لم يكن مهتمًا، وحتى أنه يوم ذهابي لبيت زوجي كان قد سافر خارج الوطن، لم يراني رغم أنني لبيت طلبه وارتديت فستان أمي كما أمر، رغم أنني تزوجت بابن صديقه كما أمر وأراد.

لم أشعر أنني تزوجت، أول ليلة الزفاف سوى أبكي، زوجي ضربني بهذا اليوم المميز لأنني افتكرت أمي وبكي.

دومًا يسمعني ذلك الكلام الجارح ويقول لي أباك يكرهك وتخلى عنك، فحتما أنت بنت عاصية غير مطيعة، من هنا بدأت معاناتي الزوجية من أول ليلة زواج، عاشرني بالقوة حتى اعتبرت أنه اغتصبني، من يومها رفضت تقربه مني فانني كرهته.

دام الزواج شهر وفي الأخير رماني بملابس البيت في الشارع، عدت إلى منزلنا وتطلقت رغم أنني لم أتزوج ليكون الطلاق، فهذا ليس زواج والزواج ليس بهذا الشكل والأسلوب، فأنا عانس مثلكن وأبي جعل مني عانس، جعل مني مطلقة، ولست غاضبة من أبي.

كنت أصور نفسي بأثار الضرب التي كانت تبقى ظاهرى لأيام طويلة وعديد المرات وضعت كاميرا، وهي تصور لحظة ضربه لي.

جمعت تلك الصور وأقمت معرض لعرضها، عرضت كيفية تعنيف الزوج لزوجته والرجل للمرأة من دون سبب وظلما، وتلذذا في رؤية دموعها وسماع صراخها.

صوري هذه رفعت عاليًا، تم معاقبة طليقي وهو الآن في السجن، تم تعييني سفيرة المرأة في الوطن العربي وأفريقيا.

تفرغت لعملي الإنساني من أجل المرأة، واستمريت في السفر. في إحدى المرات، سافرت إلى قبيلة سمعت أن النساء فيها يعشن أصعب أنواع المعاناة من قبل الرجل، سواء كان الأب أو الأخ أو الزوج أو القريب أو الغريب وحتى الابن.

اتجهت إلى هذه القبيلة وهناك رأيت العجب. تعرضت للخطر وتم احتجازي في غرفة شبيهة بالكوخ المبني من غصون ووريقات الأشجار الضخمة والنبات. تم رمي مادة سامة، لا أدري لماذا، وبمجرد تقرب بخار هذه المادة فقدت الوعي. من حسن حظي، تم إنقاذي من قبل امرأتين من القبيلة.

سفري وتجولي أصبح محفوفًا بالخطر. انضممت إلى فرقة الإنقاذ، تدربت وتعلمت القتال وكيفية الدفاع، وأصبحت ضابطة في هذه الفرقة، أقوم بإنقاذ الأرواح التي في خطر.

مع مرور الوقت، بدأت صحتي تتدهور شيئًا فشيئًا. لجأت إلى عدة أطباء حتى وجدت الطبيب الذي هو الآن يعالجني وبمقام أبي.

قمت ببعض التحاليل والأشعة، وعلمت أنني مصابة بسرطان في الصدر نتيجة المادة السامة التي استنشقتها. هذا السرطان نوعه أنثى وانتشر في أماكن في جسدي. كل مرة أجري عملية واثنتين وثلاث لأمنع نموه، ونجح الطبيب في ذلك.

تم استئصال الثدي، فأقول أنني مصابة بسرطان الثدي دون التطرق لشرح كل هذا ما دمت أتعالج مع المصابات بسرطان الثدي في نفس المصحة.

أتعاطى العلاج بشكل مستمر، هذا هو رأسي بلا شعر منذ فترة. وأبي بعد كل هذا لا يزال غائبًا، أتواصل معه بشكل بسيط وقليل أحيانًا، هو بخير ولا ينوي القدوم، وأنا تعودت لوحدي وأنتم الأهل والأحباب، أحببتكم وأحببتموني، والمحبة نعمة.

هذه هي قصتي، فهل هناك جديد لديكن فإنني أريد أن أفرح.

جاءت البشرى من إسراء، هناك من يطلبها للزواج، لكنها خائفة أن يكون مخادعًا كما حدث مع نور القمر.

طلبت الالتقاء معه قبل الحديث مع والد إسراء وإقناعه بزواجها الذي دام رفضه لزواجها سنوات طويلة. التقيت بمن يود الزواج بإسراء، فعلًا هو إنسان محترم جدًا، لا يكبرها بكثير فهو قريب من سنها. نعم، لديه أولاد من زوجته السابقة اللذان انفصلا، وأولاده مع والدتهم.

طلبت من معارفي أن يعرفوا عنه كل صغيرة وكبيرة، والنتيجة كانت أن إسراء محظوظة بهذا الشخص.

اتجهت إلى والدها وتكلمت معه بدل المرة عدة مرات. كل مرة كان يرفض، والمرة الأخيرة وقفت إسراء أمامه وواجهته بأنها ستتزوج هذه المرة، ولن تسمع كلامه وسترحل وتتركه. هنا استيقظ والدها وأدرك أن ابنته جادة جدًا فيما تقوله، وأنه سيخسرها فقبل بشرط إقامتها معه، وكان القبول من إسراء والعريس.

تم تحديد موعد الزفاف، ولدى العريس أخ من متلازمة داون سيتم تزويجه بأخت مريم التي هي كذلك من متلازمة داون.

لدى العريس أخ في القضاء يعمل وقد أعجب بالمحامية محبة الرحمن، فأجلنا موعد زفاف إسراء لتكون الفرحة جماعية، زفاف المحامية وزفاف إسراء وزفاف أخت مريم.

طلبت من إسراء مصممة الأزياء أن تصمم لي وللجميع الأخريات فساتين زفاف، حتى التي لن تتزوج بهذا اليوم بعد.

سنرتدي الثوب الأبيض ونعيش فرحة العرس وكأننا العروس. فأنا في الأربعينات، نعم في بداية الأربعين ولست متأكدة هل سأعيش غدًا فأريد أن أفرح وميم تريد وجميعنا نريد.

أسماء ونور القمر ومحبة الرحمن تم انضمامهم للعمل معي وفي مجالي، وسينجحن لأنهن مررن بالسيء وبالأسوأ، فسيقدمن كل ما لديهن لتقديم المساعدة للنساء الأخريات في كل مكان. بدأنا فعلًا العمل سويًا وسافرنا معًا قبل عيد المرأة بثلاثة أيام ليوم واحد لتقديم الهدايا والتهاني والتبريكات لبعض النساء اللواتي يعشن الحياة النائية.

عدنا مسرعات فحفل الزفاف الكبير يوم عيد المرأة العالمي، الثامن من الشهر الثالث.

تجهزن وتزينّ وكأنه اليوم زفافي وزفاف أسماء ونور القمر ومريم.

جاء يوم الفرحة والسرور، بقي على الظهور ساعتان. ارتديت فستاني والجميع من جنس حواء ارتدين الأبيض، والفرحة والابتسامة حقيقية متناسبة مع الحدث والمناسبة.

قبل الدخول إلى القاعة، التقطت لنا المصورة الاحترافية العديد من الصور. صور رائعة بهذه المناسبة، ولم أنس نفسي.

وقفنا صفًا واحدًا، هذه جنب تلك ونحن بكامل زينتنا ورونقنا، ولم ننسَ باقة الورد الحمراء في اليد التي زادتنا جمالًا.

مسكنا بأيدي بعضنا البعض، المحامية بيد عريسها، إسراء مع عريسها وأخت مريم بجنب عريسها، وأنا يدي الأخرى تصطحب فتاة صغيرة مرتدية فستانًا أبيضًا قصيرًا، مثلي مثل الباقيات.

فرحتنا تلك الفرحة المنتظرة، جميعنا نحمل بقلوبنا وبعقولنا وبأفكارنا وأحلامنا فرحة هي الفرحة المنتظرة. عندما زارتنا فرحة، قلنا فرحنا ولكن ليست هذه هي فرحتنا المنتظرة.

الفرحة المنتظرة نعلمها وننتظر حلولها. نجتهد أو ندعي أو نساهم لتأتي الفرحة المنتظرة، كما حلمنا وأردنا وانتظرنا. الانتظار قد يكون طويلًا جدًا وقد يكون قصيرًا، لكنه أحرقنا شوقًا ولهفة وحماسًا، فنفرح قبل قدوم الفرحة المنتظرة.

نفرح عند التخيل، عند تصور ما ستكون عليه فرحتنا وعلى الهيئة والشكل الذي سيكون عليه الشيء المنتظر.

ما أجمل تلك اللحظات التي تزيدنا إصرارًا وحماسًا فنقدم كل ما لدينا لنعيش اللحظة المنتظرة، وأن كانت بعدها لحظة الفراق والموت لا يهم. يكفي أننا قد وصلنا لتلك اللحظة التي عشنا عليها طويلًا وفي جميع الأوقات دون انقطاع.

الفرحة المنتظرة تكون في نتيجة امتحان فيكون النجاح، في قدوم اليوم الموعود يوم الزفاف ودخول القفص الزوجي مع الحبيب الوحيد. الفرحة المنتظرة في عيش مراحل الحمل وبانتظار لحظة الولادة التي بها نرى الشيء المنتظر قد قدم بفرحة لا توصف.

فرحتنا المنتظرة تختلف من شخص لآخر، فكل واحد له فرحته التي ينتظرها، ومتى انتظرها بحب واجتهاد جاءت ولو بعد حين وفرح بها الفرحة التي لن تموت ولن تختفي.

لا ندع فرحتنا المنتظرة بلا عمل، فنعمل ونجتهد لنعيشها عاجلًا وبأسرع وقت. كما أننا لن نفرح ونحن سوى ننتظر، فما أردناه لن يأتي بلا عمل واجتهاد وإن انتظرنا العمر كله.

نهضنا والآن نشارك في صنع فرحة العمر المنتظرة.

دعوت الأصدقاء والمعارف والأقارب لحضور هذا اليوم. الجميع دعا من يعرفه للحضور، وتمت دعوتهم بشكل جميل عن طريق بطاقات فيها أسماؤنا جميعًا.

حضر الكبير والصغير، فالجميع يود معرفة ما الذي يحدث وكيف للصديقات أن يتزوجن في يوم واحد.

رقصنا وغنينا، عشنا فرحتنا كما يجب ومارسنا السعادة بكل الطرق التي خطرت على بالنا.

في الأخير جاء موكب من السيارات، التي ركبت مع عريسها، والتي لوحدها ركبت سيارة لوحدها مع السائق.

اتجهنا جميعًا إلى فندق جميل، تناولنا العشاء الجماعي، كل واحدة منا اتجهت إلى غرفتها، وأنا والعازبات أكملنا سهرتنا على شط البحر.

قضينا بضعة أيام كشهر عسل المتزوجين، عدنا إلى البيت فقد انتقلت مريم وأسماء ونور القمر للعيش معي، فحياتنا واحدة وعملنا واحد.

كثيرًا ما تلزمنا وتجبرنا الحياة على المقاومة سواء كنا جاهزين مستعدين متحمسين أو غير ذلك.

حواء ليست عانس. نعم، حواء ليست عانس أقولها بأعلى صوت. حواء ليست بعانس ولن تكون عانسًا يومًا لأن التي لم تتزوج بعد مع أنها في سن الزواج هي امرأة. حواء أن تزوجت أو لم تتزوج، فتأخرها في الزواج نصيب وقدر. نصيبها لم يحن بعد، لم تنصفها الظروف ولم تكن في صفها. تنتظر الذي يقدرها وترى فيه الرجل الذي تستطيع أن تكون معه وتقضي ما تبقى من عمرها معه.

تأخرها الذي يقدرها وترى فيه الرجل الذي تستطيع أن تكون معه وتقضي ما تبقى من عمرها معه. تأخرها حكمة من الله وتفكير صائب في نظرها وظروفها، وظروف المكان المتواجدة فيه لا تناسبها حاليًا أو ليست في صفها ولا تخدمها.

لم تكن يومًا حواء عانسًا ولن تكون، فهناك العديد من النساء يختبئن ولا يتواصلن مع الناس والمجتمع، ويغيبن في كل المناسبات العائلية لأنه للأسف يتم النظر إليهن بنظرة تقلل منهن وتجرحهن وتؤلمهن كثيرًا، ناهيك عن الأسئلة التي يتم طرحها عليهن كسؤال "لماذا لم تتزوجي؟" وكأن الأمر بيدها وهي من تقصد باب الرجل وتطلبه للزواج؟

أسئلة ونظرات وتصرفات وتلميحات لا تحترمها ويتم إحراجها مع عدم مراعاة شعورها وأحاسيسها.

كلمة "عانس" حطمت قلب ونفسية الكثير من النساء وجعلت حياتهن بلا طعم ومملة داخل الأسرة والعائلة وخارجها. لذلك، فحواء ليست عانسًا فلا داعي لتكرار هذه الكلمة عند رؤيتها. وإن ثبت الإصرار على تلقيبها بعانس، فالرجل المتأخر في الزواج كذلك رجل عانس وعانس وعانس.

إن حواء عظيمة وأحسن مخلوقات الله دون منازع، فهي وطن الكثير، يكفي أنها أم رائعة وأخت جميلة وبنت مشعة وزوجة الحياة والروح. حواء بالزواج أو بدونه هي حواء، وقيمتها في أعالي القمم كالعلم المرفرف بأعالي السماء في الفصول الأربعة شامخ واقف معبر ذو هيبة. حواء وإن لم تتزوج فلن تتحول إلى غير حواء، فهي حواء ومؤثرة في محيطها الداخلي والخارجي ومنتجة.

كم من امرأة غير متزوجة هي ناجحة عن آلاف النساء وقد تركت بصمتها في الحياة وهي نجمة من النجوم المشعة التي لا تنطفئ ولا يغيب شعاعها.

وكم من امرأة متزوجة هي مدفونة بالحياة وتعيش أسوأ أيام حياتها مع رجل لا يقدرها ولا يحترمها وبكل عنف وقسوة يتعامل معها.

فلا تحزني يا حواء على زواجك المتأخر، فزواج متأخر أحسن من زواج فاشل وزوج لا يخاف الله فيك.

إن غابت المودة والرحمة وحسن المعاشرة والكلمة الطيبة والمعاملة الطيبة، لن يكون هناك زواج. وإن كان فهو ليس بالزواج، فلينتهي وتنتهي معه كل معاناة تعيشها المرأة أو الرجل للتفكير والبداية في حياة جديدة مع أناس يقدرون ويحترمون ويقدسون الحياة الزوجية.

حواء التي لم تتزوج بعد، فلم يحن موعد زواجها بعد، وتأخر زواجها خير لها ما دام الله أراد ذلك لها. فلا يعلم بالغيب إلا الله، والله يرى لك الخير أكثر مما تراه أنت لنفسك.

يا حواء يا حبيبتي، أنت لست عانسًا فلا تخجلي من زواجك المتأخر ولا تلتفتين إلى كفرهم وجهلهم وتخلفهم ومرضهم الذي سيطر عليهم.

يا حواء، بدل أن تجلسي تدمعين وتبكين من كلام المرضى المعقدين المتخلفين، انهضي وأثبتي لنفسك من أنت وكم أنت قوية ومنتجة وواقفة بدون الرجل. إن وجودك قوي وتأثيرك شديد بدون الرجل، وإن النجاح ليس له علاقة بالرجل فهو مرتبط بك فقط.

ألف تحية وتحية لحواء الطفلة والبنت والشابة والمتزوجة وغير المتزوجة والمطلقة وغير المطلقة، فأنت سر الحياة وسعادة الكثير من حولك.

حواء ليست عانسًا، لا بد من قولها والتوقف عن قول "حواء عانس".

تمت...